الفصل الثانى

حياتـــه وثقافتـــه

١ - حياته ومؤلفاته

٢ - ثقافته وشخصيته

obeikandl.com

١ - حياة ألطاف حسين حالى

ولد حالى سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧م فى حى الأنصار بپانى پت وهى مدينة تبعد ٥٣ ميلاً عن دهلى من ناحية الشمال، وهو الطاف حسين بن ايزد بخش، بن خواجة بو على بخش، بن خواجه محمد بخش، بن خواجة غلام محمد، بن خواجة عبد السحبان، بن خواجة عبد الكريم، بن خواجه مسلم بن خواجة زين الدين أحمد، بن خواجة عبد الكافى، بن خواجة ضياء الدين، بن خواجة أبو راشد، بن خواجة أبو حامد، بن خواجة أبو تراب، ابن خواجة نصير، بن محمود بن قاضى خواجة ملك على، ويينتسب حالى إلى أسرة الأنصار الذين جاءوا إلى پانى پت من سبعمائة عام واستقروا بها وذلك فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى وكان غياث الدين بلبن على عرش دهلى، أما «حالى» فهو تخلصه الشعرى وقد اشتهر حتى أصبح جزءاً من اسمه(١).

وأمه هى «سيدانى» من أسرة السادات المعروفة باسم «شهد اپور» وتلتقى سلسلة نسبها بالصحابى الجليل ابى أيوب الأنصارى. وكان أجداده علماء دين عظام. فكان ميرك على شاه حاكم هراه لدونما سبب ترك ابنه ملك(٢) على الحكم والثروة ورحل إلى الهند التى اشتهر حاكمها غياث الدين بلبن (٦٦٤ - ٦٨٦ هـ) بأنه يُكرم أُسر الأشراف القديمة حتى وفد عليه كثير من أسر الأشراف وأهل العلم من إيران وتركستان، وقد

---

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى: جـ ١ ص ٢.

- إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى ص ١٨.

- حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٠ (ضمن كليات نثر حالى جـ ١) تاليف محمد إسماعيل پانى پتى، ونقل عن حالى كل المترجمين له، انظر: محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى: ص ١٣، وصالحة عابد حسين يادگار حالى ص ٢٥. وقد كتبها فى ديوانه بعنوان «ترجمة حالى» وفى مقالات حالى: جـ ١، ص ٢٦١ وافتخار صديقى «كليات نظم حالى جـ ١ ص ١ بعنوان بيان حالى. وكان حالى قد كتبها عام ١٩٠١ بناءاً على طلب احد المؤلفين الإنجليز فارسلها له واحتفظ بصوره منها وظل يختصرها ويعيد صياغتها حتى كانت على هذه الصورة المعروفة ونشرها محمد إسماعيل پانى پتى عام ١٩٣٩م (كليات نثر حالى: ط ١، ص ٣٢٨).

(٢) خواجة ملك على: من كبار أسرة الأنصار وكان اول من جاء منهم إلى پانى پت مع أبنائه خواجة محمد مسعود وخواجة محمد نصير الدين سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م، وتوفى عام ٧١٨ هـ (كليات نظم حالى. جـ ١. ص ٢).

حملت هذه الشهرة خواجة ملك على للسفر إلى الهند حيث كان غياث الدين يريد عدة أشخاص ليسند إليهم مهام تحصل الأموال والضرائب من پانى پت فجاء ملك على واستقر فى حى الأنصار المشهور حتى الآن فى پانى پت وأصبحت وطنا لأجداد حالى منذ ذلك الوقت ونال أولاد خواجة ملك على امتيازات كثيرة منذ بداية عهد الدولة المغولية حتى حكام أوده واغدق عليهم سلاطين المسلمين الأموال والهبات، ويقول حالى « كان آبائى واجدادى بقدر ما أعلم لم يتولوا أى وظيفة فى دهلى ولكناو، وكان أبى أول من اختار وظيفة فى مكتب التصاريح والرخص لدى الحاكم الإنجليزى »(١).

وكان حالى أصغر أخوته، وكان أكبرهم خواجة امداد حسين وأخته الكبرى أمه الحسين والصغرى وجيهة النساء وقد أصيبت أمه(٢) بخلل فى عقلها بعد ولادته ومات أبوه ايزد بخش وهو فى الأربعين من عمره عام ١٨٤٥م، وذاق حالى مرارة اليتم وهو فى التاسعة من عمره وانفصل عن أحضان وحنان والديه منذ طفولته وقام أخوه الأكبر خواجة امداد حسين بتربيته ويقول حالى « عندما وصلت إلى سن الرشد لم أجد من يرعانى سوى أخى وأختاى »(٣)، وطبقًا لعادة أهل عصره بدأ حالى فى حفظ القرآن الكريم وهو فى الرابعة واشتهر بتجويده للقرآن على يد الشيخ ممتاز حسين(*) وحفظ

---

(١) حالى. ترجمة حالى. ص ٣٣٢.

(٢) شجرة نسب حالى من ناحية الأم هى: الطاف حسين حالى بن أمة الرسول (زوجة خواجة ايزد بخش) بنت سيد محمد شفيع بن سيد محمد أمين، بن سيد عبد الرحمن، بن سيد عبد الرحيم، بن سيد ابو القاسم، بن سيد على، بن سيد منجهو، بن سيد محمد سيد أمجد، بن سيد نعمت الله، بن سيد اخوند ابن سيد حسام الدين، ابن سيد شمس الدين، ابن سيد معظم، ابن سيد مرتضى، ابن سيد نور الدين، ابن سيد مغيث، ابن سيد محمد، ابن سيد موسى مكحول، ابن سيد ابو جعفر، ابن حضرة سيد إسماعيل شهيد، ابن حضرة سيد أحمد، ابن حضرة إمام أبو القاسم إسماعيل شهيد شهد اپورى، بن حضرة سيد محمد ناطق، ابن حضرة إسماعيل ناطق، ابن حضرة إمام جعفر الصادق بن حضرة إمام أبو جعفر محمد باقر، بن حضرة الإمام على زين العابدين بن حضرة سيدنا الإمام الحسين، ابن حضرة السيدة فاطمة الزهراء بنت حضرة محمد ﷺ.

(حالى: ترجمة حالى: ص ٣٣٢ - ٣٣٣) و (حالى: كليات نظم حالى جـ ٢ ص ٣).

(٣) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٣.

(*) كان من أشهر القراء الموجودين فى محلة الأنصار، وجاء اسمه « ممتاز حسين » أيضًا فى كتاب شجاعت على سنديلوى - « حالى بحيثيت شاعر » ص ١٥، ولكن محمد إسماعيل پانى پتى فى « تذكرة حالى » ص ٤٤ - ٤٥، وافتخار صديقى كليات نظم حالى جـ ١ ص ٤ يذكران ان اسمه ممتاز على.

القرآن فى فترة وجيزة وكان يملك ذاكرة قوية حتى مدحه العلماء والقراء الكبار[١].

وكان حالى متشوقا للتعليم منذ صغره، ولكنه لم تسنح له الفرصة فى تحصيل العلم بصورة منظمة، فبعد حفظ القرآن تعلم اللغة الفارسية على يد سيد جعفر على الذى كان أديبًا فتأثر حالى بصحبته ليس فى الأدب واللغة الفارسية فحسب بل بدأت تتفتق قريحته بنظم الشعر، «وبدأ يتشوق لتعلم اللغة العربية وما هى إلا أيام قليلة حتى جاء الشيخ إبراهيم حسين الأنصارى من لكهنو بعد أن نال اجازة فى الامامة فقرأ عليه كتب فى النحو والصرف العربى »وبعض الكتب العربية، وأراد أن يكمل تعليمه وكان عمره فى ذلك الوقت سبعة عشرة سنة فأرادت أسرته أن تزوجه حتى يتحمل المسئولية مع أخيه الأكبر امداد حسين ولم تكن عنده الرغبة فى الزواج لأنه يعلم أن الزواج سيحول بينه وبين رغبته فى اتمام تعليمه ولكن حالى أزعن لرغبة أخيه فقد كان بمثابة أبيه فاضطر إلى الزواج حتى لا يعصى لأخيه أمرًا وتزوج سنة ١٨٥٢م من إسلام النساء بنت خاله سيد مير باقر على، وزوجته من أسرة كريمة من السادات، ولكن لم تفتر عنده الرغبة فى طلب العلم، وكانت زوجته ثرية فاغتنم حالى هذه الفرصة فلم تكن زوجته عبئًا عليه، وقرر الذهاب إلى دهلى لإكمال تعليمه وكانت دهلى مركزًا للعلوم والآداب فى ذلك الوقت «ولم يكن هناك وسيلة للسفر من پانى پت إلى دهلى فى ذلك الوقت سوى عربات تجرها الخيول أو الثيران، وخرج حالى متخفيا من زوجته وأهله وسافر إلى دهلى ماشيًا على قدميه بدون أن يأخذ أى متاع معه وفى أثناء سفره قطع بعض المسافات فى أحد هذه العربات، ووصل دهلى بعد مشقة وهو خالى الوفاض والتحق بمدرسة حسين بخش بالقرب من مسجد دهلى الجامع وكان يدرس بها الواعظ المشهور مولوى نوازش[٢] على وبدأ فى تحصيل العلم بعناء فقد كان يسكن فى هذه المدرسة ولم يكن يجد ما يفترشه أحيانًا ويظل الليالى جائعًا[٣]، وقد استفاد حالى من حلقات الدرس

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٥ – ٢٦.

(٢) نوازش على: هو واعظ مشهور ومدرس فاضل كان يقيم فى قرية هابرطى مركز كيتهل فى إقليم كرنال وقد قرأ عليه السير سيد أحمد خان وكان يدرس فى مدرسة حسين بخش، ويقول خواجة سجاد حسين الابن الأكبر لحالى: «فى زمن إقامة أبى فى دهلى كان يضع لبنتة أو لبنتين كوسادة تحت رأسه وكانت تمر عليه أيام عديدة فى فقر مضجع وربما لم يكن يستطيع الحصول على الطعام وبسبب هذه المحنة تدهورت صحة الوالد فى شبابه وظل دائمًا مريضًا».

(كليات نظم حالى: جـ ١، ص ٦٠٥) و (تذكرة حالى: ص ٤٠).

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى، ص ٢٧، ٢٨.

التى يلقيها ميان سيد نذير حسين[١] ومولوى أمير أحمد[٢] ومولوى فيض الحسن[٣].
وكان التعليم الإنجليزى قد بدأ ينتشر قليلا فى الهند فى ذاك الوقت فقد كانت كلية دهلى « دهلى كالج » القديمة فى أزهى عصورها غير أن حالى كان يتجاهل هذا التعليم تمامًا ويقول حالى : « إن المجتمع الذى نشأت فيه كان يعتبر العلم منحصراً فقط فى اللغة العربية والفارسية وفى البداية لم أسمع فى مكان ما ذكر للتعليم الإنجليزى وبصفة خاصة فى پانى پت ولم يكن عند الناس فى ذلك الوقت أدنى فكرة عنه سوى القدر اليسير منه بسبب خدمه الحاكم الإنجليزى ولم أحصل من هذا التعليم أى قدر »[٤]، فقد كانت أهل بلدته پانى پت يعتبرون التعليم الإنجليزى بدعة وذنبًا لا يغفر ويطلقون على المدارس الإنجليزية اسم « المجهلة » أى مكان الجهل و « عندما وصلت إلى دهلى كنت أقيم فى هذه المدرسة ليلاً ونهاراً وكان الناس هناك يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا فى هذه الكلية جهلة ولم أفكر فى التعليم الإنجليزى وبقيت فى دهلى عام ونصف وفى تلك الفترة لم أذهب لرؤية هذه الكلية ولم التق بالذين تلقوا تعليمهم فيها فى ذلك الوقت أمثال مولوى ذكاء الله ومولوى نذير أحمد ومولوى محمد حسين آزاد وغيرهم »[٥]، ولم تكن لدى حالى الرغبة فى التعليم الإنجليزى ولكنه بعد ذلك قرأ بعض الكتب الإنجليزية المترجمة للأردية.

وفى أثناء إقامة حالى فى دهلى كتب رسالة صغيرة مختصرة باللغة العربية وكان عمره ثمانية عشر عامًا وكان هذا أول مؤلف له، والمؤلف دائمًا يحب أول عمل له

---

(١) شمس العلماء ميان سيد نذير حسين الدهلوى : كان عالم حديث مشهور بين معاصريه وكان من خيرة تلاميذ شاه عبد العزيز وشاه عبد الغنى ودرس حالى عليه الحديث وتوفى ١٣٢٠ هـ (كليات نظم حالى : جـ ١، ص ٦، تذكرة حالى : ٤١ - ٤٢).

(٢) مولوى أمير أحمد السهسوانى : من أشهر العلماء والمؤلفين فى هذا العصر وله أكثر من ٢٢٠ مؤلف بالعربية والفارسية والأردية ويعتبر من الذين خدموا السنة خدمة جليلة وقد قرأ عليه حالى عدة قصائد من ديوان المتنبى وتوفى عام ١٣٠٦ هـ « انظر : عبد الحى الحسنى : نزهة الخواطر ٨/ ٧٢ والزركلى : الأعلام ٥/ ٢٤٠).

(٣) مولوى فيض الحسن السهانبورى : كان عالم مشهور فى عصره وله ديوان شعر بالعربية وعين أستاذا للغة العربية فى الكلية الشرقية بلا هور وكان يدرس فى دهلى فى ذلك الوقت وقرأ عليه حالى بعض الكتب. (عبد الحى الحسنى، نزهة الخواطر ٨/ ٢٩٦).

(٤) حالى : ترجمة حالى ص ٣٣٥.

(٥) حالى : ترجمة حالى. ص ٣٣٥.

ويقدره فهو بمثابة حجر الأساس لحياته الأدبية، وفى هذا الوقت بالذات ينبغى أن يتلقى التشجيع ولكن حدث العكس فالكتاب الأول الذى كتبه حالى بمشقة واتقان ذهب مع الريح.

ويذكر خواجة غلام الثقلين هذه الرسالة فى إحدى موضوعاته فيقول: «قبل الثورة بسنتين أو ثلاث كان حالى يتعلم فى دهلى وفى ذلك الوقت ألف رسالة باللغة العربية يؤيد فيها مولوى صديق حسن خان بهادر فى أحد القضايا المنطقية، وقد أبدى أستاذه، سخطه الشديد عليها بعد أن قرأها وقام بتخريقها وقد تألم حالى وحزن عليها، وقال الأستاذ وكان عالما حنفيًا مشهوراً ويدرس فى مدرسة حسين بخش: مع أن الرسالة قد كتبت فى غاية الدقة والاتقان لكن بما أنها كانت فى تأييد أحد الوهابيين فقد مزقتها»(١). وتعد هذه الرسالة التى كتبها حالى دليلا على مدى تمكن حالى من اللغة العربية فى هذه السن فلم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة من عمره وقام حالى فى أثناء إقامته بدهلى «بقراءة شرح مسلم وملا حسن والميبذى» على يد أستاذه نوازش على وفى ذلك الوقت بدأت العلوم والفنون والشعر فى الرواج والازدهار فى دهلى واشترك حالى فى معظم الندوات الشعرية وتفتحت قريحته الشعرية ومن حسن حظه أنه تقابل بمرزا أسد الله غالب ولم تكن أشعار غالب مشهورة فى ذلك الوقت عند العامة ولكن خاصة الناس كانوا يقدرونها جيداً وكان حالى من المعجبين بأشعاره الفارسية والاردية ويبين له المعانى الشعرية الصعبة وفى ذلك الوقت بدأ حالى فى نظم بعض الغزليات الأردية والفارسية على غرار طريقة الغزل القديمة عند شعراء عصره وكان يعرضها على مرزا غالب لإصلاحها(*) وقد كان ناقداً صارما(٢) ويقول حالى «فى أثناء إقامتى بدهلى كنت كثيراً ما اختلف إلى مرزا أسد الله غالب لأساله عن معانى أشعار ديوانه الفارسى والأردى والتى لم أكن أفهمها، وكنت أقرأ عليه بعض القصائد الفارسية من ديوانى، وكان من عادته منع أكثر المترددين عليه من التفكير فى نظم الشعر ولكننى كلما عرضت عليه غزلياتى الفارسية أو الأردية كان يقول لى: مع أننى لا أنصح أحداً بنظم الشعر إلا أننى

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٩.

(*) هذه عادة متوارثة فى شعراء الأردية، فكل شاعر يتخذ له أستاذ أو أكثر ليعرض عليه شعره فى بداية نظم الشعر وكان غالب أستاذ حالى.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٢٩، ٣٠.

أعتقد بالنسبة لك إذا لم تنتظم الشعر فإنك سوف تظلم نفسك كثيراً»[١]، ولم ينظم حالى فى ذلك الوقت أكثر من «غزلية أو اثنين» فلم تسنح له الفرصة لقرض الشعر بسبب انشغاله فى إكمال تعليمه، ولكن بسبب تشجيع غالب له بدأ فى التدريب تدريجياً على قرض الشعر وتخلص فى ذلك الوقت بـ «خسته»[٢].

واستمر حالى فى حضور هذه الندوات الشعرية التى كانت تعقد فى دهلى، حتى وصل خبر وجوده فى دهلى إلى أهله فى پانى پت وجاء أخوه الأكبر إلى دهلى مع بعض أصدقائه وأجبروه على العودة إلى المنزل، ورجع إلى پانى پت مرغما عام ١٨٥٥م، وترك التعليم ومكث فى منزله بپانى پت عام ونصف قضاها فى القراءة وولد له طفلا فى ذلك الوقت وكان أصدقاؤه وأقرباؤه يصرون باستمرار على خروجه للبحث عن عمل حتى اضطر أن يترك القراءة مجبراً وخرج من بيته عام ١٨٥٦م يبحث عن عمل وفى نهاية الأمر وجد «وظيفة فى إقليم حصار براتب ضئيل فى ديوان مدير الإقليم» وكانت الفوضى والاضطرابات تسود الهند فى تلك الفترة فقد أخذت سيطرة الحكومة الإنجليزية تزداد تدريجياً على الهندمن ناحية ومن ناحية أخرى بدأت الرغبة فى الثورة تعتمل فى صدور الناس ضد الحكومة الإنجليزية»[٣].

وفى سنة ١٨٥٧م نشبت نيران الثورة «وحدث اضطرابات وحوادث مؤلمة فى إقليم حصار وتوقفت الأعمال الحكومية ورجع حالى إلى پانى پت وأمضى بها قرابة أربعة أعوام فى حالة بطالة»[٤]، ويذكر سجاد حسين الابن الأصغر لحالى مالاقاه أبوه من مصاعب فى أثناء سفره من حصار إلى پانى پت فيقول «لقد سلب قطاع الطرق من أبى كل شىء حتى الحصان الذى يركبه ولم يبق معه سوى نسخة صغيرة من القرآن الكريم، وعندما

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٧.

(٢) صالحة عابد حسين، يادگار حالى. ص ٣٠، ويرفض الدكتور افتخار صديقى هذا الرأى ويقول: لم يتخلص حالى بـ «خسته» ويتعجب من ذكر الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى لهذا التخلص فى كتابه «جواهرات حالى ص ٨٩» دون أن يشك فى نسبه إلى حالى وقد تبعه فى هذا الخطاكتاب التذاكروبعض الكتب التى كتبت عن حالى مثل: شجاعت على سنديلوى «حالى بحيثيت شاعر، ص ٢٥ وغلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص ١١ بالإضافة إلى صالحة عابد حسين.

(٣) صالحة عابد حسين، يادگار حالى ص ٣١.

(٤) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٦.

وصل إلى پانى پت اشتكى من مرض الاسهال بسبب عناء السفر ومشقة السير على الأقدام وعدم توافر الطعام المناسب وظل يعانى منه لأكثر من سنة حتى برأ من علته عندما سقاه طبيب پانى پت المشهور حكيم خورشيد وصفة طبية، وكانت صحة أبى قوية فى الشباب ودأب على ممارسة الرياضة البدنية ولكن المعاناة التى تكبدها فى السفر قد أثرت على صحته تأثيرا سيئًا فأصيب بأمراض الرئة والصدر والمعدة بالرغم من حذره الشديد». ومع أن پانى پت كانت بعيدة عن اضطرابات الثورة إلا أن أهلها كانوا يشعرون بالخطر لأن مدينتهم كانت قريبة من دهلى التى نشبت فيها الثورة وقد فر إليها آلاف الأسر المنكوبة وقد برهن سكان پانى پت فى هذا الوقت على المواساة الإنسانية الصادقة وفتحوا لهم أبواب قلوبهم(١) ومنازلهم وقام الطاف حسين حالى بمساعدة هؤلاء المنكوبين بقدر الإمكان وآوى بعضهم فى منزله، وقد ظلت الهند على هذه الحالة من الاضطرابات والخراب لسنوات بعد أن خمدت نار الثورة وأغلقت المدارس والكليات فى دهلى وأستأصل الحاكم الإنجليزى كثير من الأسر العريقة فى دهلى وأبادهم فى ثورة انتقام ولم يوجد فى دهلى حى دون نصب المشانق فيه. وفى ذلك الوقت بقى حالى فى پانى پت قرابة أربع سنوات متحررًا من قيد الوظيفة وقد اغتنم حالى هذه الفرصة وركز اهتمامه على تكميل تعليمه وكتب بنفسه عن حالة التعليم فقال «كنت أقرأ فى ذلك الوقت على علماء پانى پت مثل مولوى عبد الرحمن(٢)، ومولوى محب الله(٣)، ومولوى قلندر على خان(٤) بعض الكتب بدون ترتيب أو نظام فأحيانًا فى المنطق والفلسفة وأحيانًا أخرى فى الحديث والتفسير وعندما لم يتواجد أحد من هؤلاء العلماء فى پانى پت كنت أقرأ بنفس الكتب التى لم أقرأها من قبل وبصفة خاصة كتب علم الأدب التى كنت كثيرًا ما أنظر إليها بمساعدة المعاجم والشروح وأحيانًا كنت أكتب نثرًا

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٣٢.

(٢) مولوى عبد الرحمن: من علماء پانى پت الكبار وهو من تلاميذ شاه عبد الغنى، وله بعض المؤلفات فى المسائل الدينية وتوفى عام ١٣١٤ هـ/ ١٨٩٦م، وقد كتب حالى ترجمته فى رسالة مستقلة بعنوان «تذكرة رحمانية سنة ١٨٩٦م.

(كليات نثر حالى: جـ ١ ص ٣٣٦، وعبد الحى الحسنى، نزهة الخواطر ٨/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٣) مولوى محب الله: من أشهر مشايخ وعلماء پت وتوفى عام ١٨٦٧م (كليات نثر حالى ١٠/ ٣٦٦).

(٤) مولوى قلندر على زبيرى: كان بارعا فى الآداب والعلوم النقلية والعقلية.

وأنظم بعض الأشعار بالعربية بدون إصلاح أو نصيحة غير أننى لم أكن لأطمئن لها فقد كان منتهى تحصيلى فى الفارسية والعربية بالقدر الذى ذكرته فيما مضى»[١]، وتقول صالحة عابد حسين أن الطاف حسين اختار تخلصه المشهور «حالى» فى ذلك الوقت فى الغالب.

وفى خلال المدة التى قضاها حالى فى پانى پت ولد ابن حالى الأكبر أخلاق حسين ووهبه لأخيه امداد حسين الذى لم يكن له أولاد وعندما كان حالى يذكره فإنه يقول «ابن أخى» وولدت ابنته عنايت فاطمة أيضًا فى ذلك الوقت ثم ولد أصغر أبنائه سجاد حسين فى عام ١٣٧٨ هـ، وبذلك تضاعفت مسئوليات حالى الأسرية بسبب قلة موارد الأسرة وكان عبء الأسرة بالكامل على راتب أخيه امداد حسين فترك حالى التعليم بسبب التفكير فى المعاش وسافر إلى دهلى مرة ثانية للبحث عن الرزق وكانت دهلى قد خُربت بفعل الثورة ولم يبق شيء من مجدها القديم، ولكنها كانت تتمتع بشهرة خاصة في الشعر والفن وجاء حالى إلى دهلى فنضج ذوقه الشعرى وصقلت قريحته بسبب تردده على المحافل الأدبية والندوات الشعرية»[٢].

وفى دهلى تقابل حالى مع «نواب مصطفى خان رئيس منطقة جهانگير آباد وكان شاعرًا من الطبقة الأولي وتخلصه فى الأردية «شيفته»[٣]، وفى الفارسية «حسرتى» فتعارفنا[٤]، وتصاحبنا وبقيت عنده ثمانى سنوات وكان شيفته شاعرًا مجيدًا فى الفارسية والأردية ومتذوقًا جيدًا للشعر وفي البداية كان شيفته يعرض أشعاره الفارسية والأردية على مؤمن خان[٥]، وبعد وفاته كان يتشاور مع مرزا غالب وبذهابى عنده

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٦.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٣٤.

(٣) شيفته: هو مصطفى خان أديب بارع ولد فى دهلى سنة ١٨٠٦م، وكان عالما فى العربية والفارسية وله عدة مؤلفات وتتلمذ فى الشعر على يد مؤمن وتذكرته فى الشعر الأردى «گلشن بے خار» من أشهر كتبه وتوفى عام ١٨٦٩م (كليات نثر حالى: ١/ ٣٣٧).

(٤) كانت بداية هذا التعارف بين حالى وشيفته عام ١٨٦٣م فقد وجد نواب مصطفى خان فى الشاب حالى الكفاءة والجدارة واختاره لصحبته ودعاه إلى جهانگير آباد للتدريس لأولاده. (كليات نظم حالى: ١/ ٩) و (تذكرة حالى ص ٥٥).

(٥) حكيم مؤمن خان مؤمن: كشميرى الأصل وكان من أسرة تعمل فى مهنة الطب وسكن فى دهلى =

بدأت أتشوق للشعر والنثر القديم وكنت مهمومًا فأصبحت نضرًا مسروراً ومال طبعى لنظم الشعر بصحبته ونظمت معظم الغزليات الفارسية والأردية عند شيفته وكنت أرسل أشعارى إلى ميرزا غالب(١)، وأنا عنده فى جهانگير، وفى الحقيقة أننى لم استفد كثيراً من نصائح مرزا غالب بالقدر الذى استفدته من مصاحبة نواب مصطفى خان شيفته فقد كان يكره المبالغة فى الشعر ويعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة مع الالتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية والعبارات والأفكار العامية وذلك ما كان ينفر منه غالب أيضًا»(٢).

وقد تعلق شيفته بحالى كثيراً وشهد له بالطول فى الشعر وكان يصحبه معه كثيراً إلى دهلى.

حالى وميرزا غالب: وفى الأيام التى كان فيها غالب صديقًا وأستاذًا لحالى توثقت عُرى الصداقة بينهما وكان حالى فى مرحلة الشباب ويتغلب عليه الاتجاه الدينى فقد كان متمسكا بالعقائد الدينية منذ صغره، وفى هذه الفترة كانت تتوارد على ذهنه أفكار الأساتذة وكان يحب غالب ويقدره ولكنه كان قلقا مضطربًا فى التفكير فى نهايته وخاصة عندما رأى أستاذه رغم شيخوخته فإنه يواظب حتى الآن على شرب الخمر وأحيانًا ينسى الصلاة فتألم حالى لذلك وكتب له يقول: بالقدر الذى تزداد فيه علاقتى ومحبتى لك، فإننى أتأسف دائمًا على حالتك لأننا لن نستطيع أن نلتقى بعد الموت «ويوضح هذا القول مدى تعلق حالى بأستاذه لدرجة أنه يفكر فى استمرار هذه العلاقة أيضًا بعد الموت وذلك فى جنة الفردوس ولكن غالب بمداومته على الشراب يقطع هذا الأمل فى استمرار هذه العلاقة.

وقد كتب حالى لغالب خطابا طويلا يؤكد له فيه على ضرورة إقامة الصلاة والالتزام: «حافظ على الصلوات الخمس كما تستطيع واقفا أو جالسا أو بالإشارة وإن لم تستطيع

= وكان من أشهر شعراء عصره ولد سنة ١٢٣٣ هـ/ ١٨١٧ م، وتوفى عام ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٢ (كليات نثر حالى: ١/ ٣٣٨).

(١) ميرزا أسد الله غالب: أعظم شعراء الأردية على الإطلاق ويعد أمير شعرائها ويتغلب الجانب الفلسفى على شعره ولد فى ١٢١٢ هـ / بمدينةآگرا وينتمى إلى أسرة عريقة، وتولى غالب مهمة إصلاح اشعار بهادر شاه ظفر آخر ملوك المغول عام ١٨٥٤ حتى ١٨٥٧، وله ديوان شعر بالأردية واشعار فارسية رائعة وكتب كتابًا فى تاريخ «آل تيمور» هو «مهر نيمروز».

(٢) حالى: ترجمة حالى: ٣٣٨.

الوضوء فتيمم صعيداً طيبا لكن لا تترك الصلاة». وقد وصلت لغالب الكثير من الخطابات فى ذلك الوقت تتهمه بالكفر وعدم الإيمان ومعرفة الله وكان بعض هذه الخطابات يصل إلى حد السباب ولم يحفل غالب بهذه الخطابات وكان يعتبر أصحابها جهلاء لكنه صُدم وتاثر كثيراً بخطاب حالى وأبدى حزنه وألمه وفى اليوم التالى أرسل له قصيدة[١] غزل يشتكى فيها من هذه النصيحة، فأرسل حالى قصيدة[٢] يُبدى فيها أسفه وندمه على ذلك ويعتذر فيها لأستاذه غالب الذى قبل الاعتذار بدوره لأن شكواه من حالى كان أساسها الحب والتقدير كما وضّح[٣] فى خطابه، وقد ظل حالى آسفا على هذا الخطأ البسيط فى حق أستاذه طوال عمره وقد وضح ذلك فى كتابه «يادگار غالب»[٤] الذى اعترض فيه كذلك على عقائد عصره.

اطلاع حالى على الثقافة الغربية: وفى سنة ١٨٦٩ م توفى مصطفى خان شيفته وبدأ حالي يفكر فى كسب الرزق مرة ثانية ويقول حالى: بعد وفاة شيفته وجدت وظيفة فى المكتبة الحكومية فى البنجاب وكان عملى فيها هو تصحيح العبارات الأردية فى الكتب الأردية المترجمة عن اللغة الإنجليزية وبقيت فى هذا العمل فى لاهور قرابة أربع سنوات وبدأت تنشأ بينى وبين الأدب الإنجليزى علاقة وبالتدريج بدأ يقل عندى التقدير للأدب الفارسى بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة عامة»[٥]، وكانت لهذه الوظيفة الجديدة دخل كبير فى تغيير اتجاه حياة حالى وتفكيره فقد ظل يمارس هذا العمل قرابة أربع سنوات سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع على كتب كثيرة فى الأدب الإنجليزى واللغة والنقد ووقف على كثير من موضوعاته ومعانيه وبهذه القدرة العجيبة أكمل نقص عدم القدرة على تعلم اللغة الإنجليزية، وبدأت تتفتق المواهب والأفكار الكامنة فى أعماقه بشكل واضح والتى لم تهيئ لها البيئة الأدبية الفرصة لظهورها من قبل، فقد كان حالى يشعر بعيوب الشعر الأردى والفارسى ولكن هذا الشعور تضاعف بدراسته للأدب والشعر الإنجليزى وخاصة عندما قارن بين الشعر الأردى والشعر الإنجليزى. واتضح له عيوب الشعر فى الآداب الشرقية بصفة عامة، ويعترف حالى بأن قراءته لكتب الأدب

---

(١) مطلعها: توای که شیفته وحسرتی لقب داری.. همی بلطف توخودرا امید دارکنم.

(٢) مطلعها: توای که عذر فرستاده به سوُے وهی.. سزد که جان گرامی برآن نثارکنم.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. ص ٣٦، ٣٧.

(٤) حالى: يادگار غالب صـ ٢١٩.

(٥) حالى: ترجمة حالى: صـ ٣٣٩.

والنقد الإنجليزى قد فتحت عينيه على حقائق كثيرة وقضايا فى الأدب والحياة وعرف أن الأدب وسيلة لخدمة المجتمع ومن هنا ازدادت ميوله تجاه دراسة الأدب العربى وتضاعف هذا التأثر تدريجيًا فكان يستخدم فى نثرة ألفاظ إنجليزية بدون تكلف واستعمل هذه الألفاظ أيضًا فى شعره فى أماكن متفرقة(١).

الندوات الشعرية فى لاهور وبداية التجديد فى الشعر الأردى: عندما كان حالى فى لاهور، كان مولوى محمد حسين آزاد يفكر منذ فترة فى تجديد الشعر الأردى وإصلاحه وفى سنة ١٨٧٤ م «حقق محمد(٢) حسين آزاد رغبته القديمة حينما أقام ندوات شعرية جديدة من نوعها بالنسبة للهند بإيعاز من كرنيل هالرايد مدير عام التعليم فى إقليم البنجاب وفى هذه الندوات يختار الشعراء أى موضوع ينظمون الشعر حوله ويظهرون فيه أفكارهم بدلا من تحديد مصرع معين من بيت شعر يلتزم الشاعر قافيته ووزنه وقد نظمتُ فى هذه الندوات أربع مثنويات الأولى فى موسم المطر «برسات»(٣)، والثانية فى الأمل «اميد» والثالثة فى العدل «انصاف» والرابعة فى حب الوطن «حب وطن»(٤).

وكان حالى ينتظر هذه المناسبة فقد سئم النظم فى شعر الغزل وتركه لموضوعات أخرى جديدة، لهذا رحب حالى بهذه الندوات الشعرية الجديدة بحرارة ونظم أربع قصائد فى قالب «المثنوى» فى الندوات الأربعة التى حضرها وهذه القصائد فى غاية الرقة والجمال والعذوبة والجاذبية وخاصة قصيدة «حب وطن» التى لا مثيل لها فلم ينظم أحد شعرًا فى هذا الموضوع مليء بالحماسة والاخلاص قبل حالى. وظل حالى فى البنجاب لفترة قصيرة نائبًا لمدير تحرير مجلة «اتاليق پنجاب» الشهرية التابعة لمديرية التعليم بإقليم

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. صـ ٣٩.

(٢) شمس العلماء محمد حسين آزاد الدهلوى: ابن الشيخ محمد باقر وتلميذ الشاعر إبراهيم ذوق وكان أستاذا فى الكلية الحكومية فى لاهور وصاحب أسلوب متميز فى الأدب الأردى ومن أشهر مؤلفاته «آب حيات» و «دربار اكبرى» و و «سخندان پارسى» وفى مجموعة مقالات باسم «نيرنگ خيال، توفى عام ١٩١٠ فى لاهور بعد أن ظل مصاب بالجنون لمدة ٢١ سنة وقال حالى فى موته: «كان نهاية الأدب الأردى» هوا خاتمه اردو كے ادب كا» (كليات نثر حالى: ١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

(٣) هذه القصيدة الأولى التى نظمها حالى فى الندوة الشعرية الأولى فى لاهور ولها اسم آخر هو «برکهارُت» أى موسم المطر.
(كليات نظم حالى: جـ ١ ص ١٣٦).

(٤) حالى: ترجمة حالى، ص ٣٤٠.

البنجاب[١].

وفى أثناء إقامة حالى فى لاهور كتب عدة كتب نثرية كان أولها فى عام ١٨٦٧م، وهو «ترياق مسموم» وهو رد على كتاب مواطن هندى تحول إلى المسيحية كما ترجم أحد الكتب فى الجيولوجيا عن اللغة العربية والكتاب الثالث هو «مجالس النساء»[٢]، وبين فى هذا الكتاب بأسلوب ممتع وطريقة جذابة أفضل الطرق لتربية الأطفال وتعليم النساء بأسلوب قصصى شيق ولقى هذا الكتاب شهرة عظيمة فى ذلك الوقت وظل لفترة ضمن مقررات مدارس البنات فى البنجاب وقد أعطاه كرنل هالرايد مسئول التعليم فى البنجاب جائزة قدرها أربعمائة روبية فقد فقد كان هالرايد يقدر المؤلفات العلمية والأدبية، وظل حالى فى لاهور أربعة أعوام تقريبًا ولكن لم يأنس بها قلبه فقد كان يحب دهلى التى أصبحت بمثابة وطنه الثانى وأحبها أكثر من وطنه الأول پانى پت[٣]، وظل طوال هذه الفترة متشوقا لأصحابه وللصداقات العلمية والأدبية فى دهلى ولم يلائمه مناخ لاهور وأخذت صحته فى التدهور فاضطر إلى الذهاب إلى دهلى في أواخر عام ١٨٧٤ وأوائل ١٨٧٥.

لقاء حالى بالسير سيد أحمد خان: جاء حالى إلى دهلى وعمل مدرسًا فى المدرسة الانجلو عربية وظل عدة سنوات يدرس للطلبة فى إخلاص ومقدرة ولكن الاستقرار لم يكن من نصيبه فى دهلى أيضًا، فقد ولى عهد الشباب وانقضت أيامه وفتر عنده حماس الشعر العاطفى وسئم قصة البلبل والوردة وترك التفكير فى الحياة الشخصية وبدأ يهتم بمشاكل وآلام قومه فقد كان الوضع السيء الذى تمر به الهند له تأثيره القوى على قلب حالى الحساس لذلك رأى فائدة شعر الغزل فى ذلك الوضع الراهن، ورأى أن جميع ثروته الشعرية والتى جمعها طيلة عشرين عامًا عبث وبلا فائدة، فامتلأ قلبه بالحماس وتلاطمت العواطف المختلفة فى صدره من أجل إصلاح الشعر والأدب الأردى وإصلاح قومه ولكنه لم يهتد بعد للطريق الصحيح ولم تتراءى له معالمه ولم يعرف فى أى اتجاه يسير، وطرأت عليه حاله من اليأس والجمود وقد صور حالى هذه المشاعر التى مر بها فى

---

(١) كليات نظم حالى: ١/ ١١ وتذكرة حالى ص ٤٠.

(٢) كانت هذه الكتب من أوائل مؤلفاته النثرية وسوف أتحدث عنها بالتفصيل عندما أتناول مؤلفاته النثرية والشعرية.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. صـ ٤٠ - ٤١.

هذه الفترة فى مقدمة المسدس ويتضح لنا بعد قراءة هذه المقدمة[١] مدى الحيرة والقنوط التى مر بها حالى فى ذلك الوقت وهذا الصراع العقلى الذى سيطر على نوازعه الداخلية حتى تاه فى صحراء الحيرة واليأس وكان نهاية الصراع العقلى بين حالى ونفسه عندما التقى بالسير سيد أحمد خان والذى أنقذ حالى من هذا الصراع كما أنقذ سفينة المسلمين الغارقة، وقد تأثر حالى كثيراً بلقاء السير سيد وشخصيته القومية وهدفه السامى وأصبح حالى مع السير سيد أحمد قلبًا وقالبًا وأوقف كل أعماله وكل نفس من سنوات عمره لهذا الهدف وبدأ فى مهمة إصلاح قومه وايقاظهم من نوم الغفلة ودلهم على السير فى طريق التقدم وهذب من ذوقهم الفاسد وأخلاقهم الهابطة[٢]. ويقول حالى: «فى البداية نظمت قصيدة بنفس الأسلوب الذى كان سائداً فى حركة لاهور (الندوات الشعرية)، ثم شجعنى السير سيد أحمد خان وقال لى إنه من المفيد لو وضحت بالشعر حالة ضعف المسلمين الراهنة لذلك نظمت أولا مسدس «مد وجذر إسلام» وأشعار أخرى طبعت ونشرت عدة مرات»[٣].

وقد نظم حالى مسدسه المشهور هذا بإشارة من السير سيد نشره عام ١٨٧٩م، ومنذ ذلك الوقت بدأ حالى فى الدخول فى دائرة السير سيد ونفوذه وصار من معالم حركة على گرﻫ وأعضاءها البارزين والمقربين للسير سيد.

وظل حالى مقيماً فى دهلى هذه المرة اثنتا عشرة سنة تقريبًا وفى هذه الفترة قام حالى بأعمال التأليف والكتابة فألف حياة سعدى «حيات سعدى» وبعد عام ١٨٧٥، كان يُنشر لحالى التعليقات والتعقيبات فى موضوعات متعددة فى مختلف المجلات وفى سنة ١٨٨٢م نشر له بالفارسية تحقيق وتصحيح كتاب «ناصر خسرو» سفر نامه حكيم خسرو» مع مقدمة وبحث فى السيّر والتراجم وقد لاقى هذا الكتاب إقبالاً شديداً من القُراء ويوجد مقدمة باللغة الفارسية مفصلة على هذا الكتاب فى «ضميمه أردو وكليات نظم حالى»[٤]، التى جمع فيها حالى الشعر والنثر الفارسى والعربى، ويتضح من هذه المقدمة أن كتاب «سفر نامه حكيم خسرو» كان موجوداً فى مكتبة نواب ضياء الدين أحمد حاكم لوهارو وقد جد فى طلبه السيد «شيفر» أحد العلماء الفرنسيين

---

(١) حالى: مسدس حالى. المقدمة صـ ٣، ٤، ٥.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. حالى صـ ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥.

(٣) حالى: ترجمة حالى صـ ٣٤٠.

(٤) نشرت فى أغسطس ١٩١٤.

لترجمته إلى اللغة الفرنسية وقد رأى حالى هذا الكتاب هناك وأعاد طبعه ونشره بعد تعديله وإصلاحه وقد اشتهرت رواية خاطئة فيما يتعلق بحياة ناصر خسرو وأعماله فقام حالى بجمع وقائع حياة خسرو الصحيحة بعد جهد وعناء ونشر هذا الكتاب، ويعتبر هذا الكتاب من أهم جهود حالى العلمية(١). وسوف ندرس هذا الموضوع بالتفصيل.

وفى سنة ١٨٨٦ م جاء إلى دهلى خواجة إمداد حسين للعلاج من مرضه وأقام عند حالى وظل يعالج لمدة خمسة أوستة أشهر وبذل حالى فى علاجه كل ما يستطيع ولكن باءت جميع محاولاته بالفشل نتيجة تفاقم المرضى ومات خواجة امداد حسين الأخ الأكبر لحالى والذى قام بتربيته فكان فى منزلة أبيه وقد تألم حالى كثيراً لوفاة أخيه فقد كان يحبه ويقدره وقام برثائه فى عدة أبيات مؤثرة يظهر فيها ألمه وحزنه على فراقة ويبدو منها كيفية انسياب المشاعر الفياضة من قلب حالى بدون تحكم. وفى سنة ١٨٨٧م جاء نواب آسمان جاه رئيس حكومة حيدر آباد لزيارة على گرط هـ وعرّف السير سيد حالى عليه وكان آسمان جاه واقفا على شاعرية حالى وعلمه، وقد وجد حالى فى نواب آسمان جاه مثالاً للشخصية الوطنية ومثالاً للطيبة وحسن السلوك وقد تأثر به حالى وعندما انتهت زيارة آسمان جاه لعلى گرط هـ اصطحب حالى معه إلى حيدر آباد وأسند إليه وظيفة الإشراف على الكتب العلمية والأدبية التى يتم تاليفها من قبل حكومة حيدر آباد وتقاضى حالى راتبًا قدره خمس وسبعون روبية شهريًا وكان هذا الراتب فى ذلك الوقت يكفى حياة فرد فى معيشة متوسطة، وقد اضطر حالى أن يعمل مكرهًا فى هذه الوظيفة حتى يستطيع أن يكفل أسرته خاصة بعد وفاة أخيه الأكبر امداد حسين وقد قنع حالى بهذه الوظيفة بعد أن استقال من وظيفة دهلى وانكب حالى فى تأدية خدماته العلمية والأدبية فى هدوء وسكينة(٢). ويقول حالى عن وظيفته الجديدة فى حيدر اباد «فى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) عندما كنت مدرسا فى المدرسة الأنجلو عربية بدهلى وذهبت فى هذه السنة إلى على گرط هـ وكان الأمير سر آسمان جاه حاكم نظام (حيدر آباد) يقيم فى قصر السير سيد أحمد خان فى على گرط هـ، وأثناء مروره على شمله (بلده السير سيد) لزيارة الكلية الإسلامية فى على گرط هـ قرر الأمير العظيم لى وظيفة من أجل

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٤٨.

(٢) المرجع السابق: ص ٤٩، ٥٠، ٥١.

مساعدة المؤلفين بخمسة وسبعين روبية فى الشهر[١]، ويقول الأستاذ غلام مصطفى خان: وفى يناير ١٨٨٧م عين حالى مدرسًا للطلبة فى دار الإقامة (المدينة الجامعية) فى «ايچيسن كالج» بلاهور ولكنه لم يأنس لذلك ولم يقض فى هذه الوظيفة الجديدة سوى ثمانية أشهر حيث عاد إلى مكانه فى المدرسة الانجلو عربية بدهلى فى يونيو ١٨٨٧ م[٢].

بعد ذلك عاد حالى إلى پانى پت وكان مكانه القديم فى حى الأنصار ولكنه لم يرغب هذه المرة الإقامة فيه لأنه يقع فى وسط المدينة ولن تسنح له الفرصة للعمل فى هدوء بسبب كثرة المترددين عليه لذلك تشاور مع ابنه الصغير خواجة سجاد حسين وكان موظفا فى إدارة التعليم بالپنجاب واتفق معه على بناء منزل له فى حى السادات لأنه بعيد نسبيًا عن وسط المدينة وموطن أخواله وأصهاره، وفى سنة ١٨٩٦م تم بناء المنزل وكان يتكون من طابقين الطابق الأسفل لزوجته وأولاده ولطعامه والطابق الثانى (العلوى) كان لإقامة حالى مع صديقيه ملازم نانون خان وعطاء الله ولمقابلة زائريه وأصدقائه، وأقام حالى فى منزله الجديد وكان أمله أن يجد فرصة يكمل فيها بهدوء أعماله العلمية والأدبية، ولكن الهدوء والسكينة لم يكونا من نصيبه بسبب كثرة الأعمال والواجبات وعلاوة على المشاكل الأسرية كان حالى يسافر كثيرا إلى مختلف مدن الهند من أجل جمع التبرعات لإنشاء كلية على گرط هـ كما شارك فى العديد من المؤتمرات التعليمية والندوات العلمية والأدبية المقامة فى على گرط هـ من أجل هذا الهدف[٣]. ويقول حالى: «وفى سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م عندما ذهبت إلى حيدر آباد برفقة السير سيد أحمد خان وباقى أعضاء لجنة أوقاف كلية على گرط هـ، وزاد راتبى إلى مائة روبية من العملة المتداولة بعد إضافة خمس وعشرين روبية فى الشهر إلى راتبى وحتى الآن التقى بالحاكم شهريا، ومنذ ذلك الوقت انقطعت صلتى بالمدرسة الأنجلو عربية بدهلى»[٤]، وفى هذه الفترة كتب حالى «مقدمة شعر وشاعرى» و «حيات جاويد» «ويادگار غالب» وفى أغسطس من عام ١٩٠٠ م، ماتت زوجته بمرض الكوليرا فجأة وكانت زوجته وفية

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٤٣.

(٢) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا صـ ١٠٥ - ١٠٦.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى، صـ ٥٢، ٥٣.

(٤) حالى: ترجمة حالى ص ٣٤٤ وبهذه الفقرة تنتهى سيرة حالى الذاتية كما كتبها هو بنفسه.

وكريمة ولم يقع بينهما وبين حالى خلاف فى حياتهما التى دامت نصف قرن تقريبا، وقد وفرت الجو المناسب لحالى من أجل إنجاز أعماله الأدبية وكان حالى يذكر زوجته فى معظم خطاباته ومن قراءة هذه الخطابات يتضح لنا مدى تقدير حالى لزوجته.

وقبل وفاة زوجته بمدة قصيرة لا تتجاوز العامين توفى صديقه ومرشده العزيز السير سيد أحمد خان الذى كان يحبه ويقدره وكانت وفاته صدمة كبيرة لحالى غير أن حالى لم ييأس من حياته لموت هذا الصديق وواصل أعماله بإيمان راسخ وانتهى عام ١٩٠١ م من تأليف وترتيب كتاب « حيات جاويد » فى ألف صفحة تقريباً وبين فيه أعمال السير سيد الخالدة وكان بداية لشهرة حالى فى هذا النوع الأدبى المعروف بأدب التراجم أو السيرة الغيرية.

وكان حالى بطبيعته يحب الوحدة والعزلة وينفر من الشهرة والظهور والتفاخر وكانت لخدماته العلمية والأدبية هذا القدر من الأهمية بحيث مدحها الجميع واعترفوا بفضله[١]. وفى سنة ١٩١٤ م منحته الحكومة لقب « شمس العلماء » تقديرا لخدماته الجليلة دون أن يسعى لهذا اللقب الذى كان موقوفا على العلماء والأفاضل والعظماء من الناس وأحتفل فى جميع الدوائر العلمية والأدبية بهذه المناسبة وانهالت خطابات التهنئة على حالى من جميع أطراف الهند وأكنافها وكان على رأس هذه الخطابات خطاب العلامة شبلى النعمانى الذى يقول فى إحدى جمله « أنا لا أهنئك أنت على هذا اللقب ولكن أهنىء لقب شمس العلماء فقد نال هذا اللقب الشرف والعزة بك »[٢]، ويتضح من هذا الخطاب مدى احترام شبلى النعمانى لحالى على الرغم من أنه كان أكثر من اعترض على حالى ونقد كتاب « حيات جاويد » نقداً شديداًوقرر أنه مدح مبرهن ومدلل للسير سيد.

وبدلا من إحساسه بالسعادة والسرور بعد أن حصل على هذا اللقب ارتبك حالى وأحس بالقلق لأن الشخص الذى يمنح لقبًا من قبل الحكومة فى ذلك العصر كان يحضر فى كل الحفلات الرسمية في كل بلاط ويستقبل بحفاوة من الحكام والأمراء ويمشى مرفوع الرأس بين الناس وهذه الصفات كان حالى ينفر منها وقد كتب لابنه سجاد حسين

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٥٤، ٥٩، ٦٠.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى جـ ١، ص ١٧.

فى هذا الصدد: «بالرغم من أننى نلت هذا التقدير من قبل الحكومة وأضع ذلك فى عين الاعتبار غير أننى اعتبره نقمة، فأنت تعلم أننى كنت دائمًا بمعزل عن هذه المناسبات ولم ألتق قط بأى حاكم أو ضابط بيد أنه من الآن عندما يأتى أى حاكم إقليم فى پانى پت أو يتغير نائب حاكم المديرية، لا مفر من أن أذهب إليه»(١).

وفى سنة ١٩٠٥ م دعى حالى لحضور الاحتفال بمرور أربعين سنة على حكم نظام حيدر اباد وذهب حالى إلى حيدر آباد بالرغم من مرضه وشيخوخته وظل هناك ستة أشهر حتى ٧ يونية ١٩٠٦م(٢) وقد التقى هناك بكثير من أهل حيدر آباد وعندما عاد حالى من هناك قدم كلمة شكر لأهل حيدر آباد أظهر فيها حبه العميق لهم وهذه الكلمة مطبوعة على الحرير وفيها قدم شكره لأهالى حيدر آباد على حسن كرمهم وتبرعاتهم للدولة وذكر لهم أن عليهم ألا يعملوا من أجل منفعتهم الشخصية بل يجب أن يعملوا لصالح رفاهية المجتمع وذكر لهم أن جميع مؤلفاته تغص بالمعانى السامية فى حب الوطن ورفاهية الجميع من «مجالس النساء» وحتى «حيات جاويد» ومن «مسدس مد وجزر» إلى «چب كى داد»(٣) ونظم حالى أثناء إقامته فى الدكن نظمه المشهور «چب كى داد» والتى ألقاها فى إحدى الحفلات تحت رعاية المهراجا سركشن برشاد(٤). وقد تعلق حالى بأهل حيدر آباد حتى بعد عودته وفى سنة ١٩٠٨ تعرضت حيدر آباد لسيل طاغى حطم آلاف المنازل وعندما سمع حالى هذا الخبر ظل مضطربًا وأرسل العديد من الخطابات باسم صديقه الشاب عبد الحق (مولوى عبد الحق) ليستفسر عن سلامة كل واحد منهم وتأثر تأثرا شديداً بالمنكوبين فى حيدر آباد.

عاد حالى إلى پانى پت بلدته ولم يكن بها حتى ذلك الوقت مدارس انجليزية على الطريقة الحديثة فى التعليم وليس بها أى مكتبة يستطيع أهل العلم والأدب أن يطلعوا على كتبها أو يستعيروا منها ما يحتاجوه من كتب وقد أحس حالى بهذا النقص فقام فى سنة ١٩٠٥م بجمع التبرعات المالية من أهل مدينة پانى پت وكان يريد أن يبنى مدرسة

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٦١، ٦٢.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٦٢، ٦٣.

(٣) صالحة عابد حسين. يادگاد حالى ص٦٢، ٦٣.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص٢١٣.

ولهذا أقام بها مكتبة فى وسط پانى پت وجمع فيها كتبًا كثيرة من أصدقائه وتقول صالحة عابد حسين إن هذه المكتبة كانت قائمة حتى عام ١٩٤٧ والآن الله أعلم هل ما زالت موجودة أم خربتها يد الزمان وصروف الدهر وعلى الرغم من عدم تحقيق رغبة حالى فى إقامة المدرسة فى ذلك الوقت إلا أن حالى أقام مدرسة للبنين بعد عدة سنوات بجهود خواجه سجاد حسين وتطورت هذه المدرسة حتى أصبحت مدرسة عليا واشتهرت باسم مدرسة حالى الإسلامية العليا وقد خُربت هذه المدرسة بسبب التعصب فى حوادث عام ١٩٤٧(١).

بعد ذلك أخذت عينا حالى فى الضعف ولكن كثرة العمل لم تهيئ له الفرصة للاهتمام بعلاجهما فقد أصيبت إحدى عينيه بالمياه الزرقاء ومنع بسببها من القراءة والكتابة وصمم سبط حالى خواجه غلام السبطين وحفيدته مشتاق فاطمة زوجة غلام الثقلين على أن يأتى حالى إلى لكناو لإجراء عملية فى عينه ولكن حالى رفض هذا العرض فلم يكن يريد أن يثقل عليهم بالضيافة والتمريض وانقضت أيام كثيرة فى أثناء ذلك الوقت بدأت عينه الأخرى فى الضعف وذهب لإجراء عملية فى عينه فى مستشفى راجندر وكان حالى مثقلا بالديون فى تلك الفترة ونشر له كتاب «حيات جاويد» وازدات ديونه بسبب هذه العملية، وبدأ حالى فى القراءة المعتادة غير أن عينه لم تصبح سليمة تماما وبعد فترة قصيرة أصيبت عينه الأخرى بالمياه الزرقاء وفى مايو ١٩١١م ذهب حالى إلى لكناو لاجراء عملية فى عينه الأخرى(٢).

وفى سبتمبر ١٩٠٧م اختير رئيسا للدورة السنوية للمؤتمر التعليمى لعموم مسلمى الهند الذى عقد فى كراچى وتعجب حالى بسبب هذا الاختيار وكتب إلى ابنه خواجه سجاد حسين يقول له بتواضع «لقد اقترحت اللجنة المحلية فى كراچى واللجنة المركزية فى على گرھ تنصيبى رئيسا على سبيل الخطأ لدورة كراچى وكثيراً ما كنت أرفض ذلك ولكنى مضطراً ألا أرفض هذه المرة» وفى ٢١ ديسمبر ١٩٠٧م سافر حالى وهو فى الثالثة والسبعين من عمره إلى كراچى وكان بصحبته خواجة غلام الثقلين وخواجه غلام السبطين ونواب وقار الملك والعقيد سيد حسن وآخرين ووصلوا كراچى يوم ٢٣ ديسمبر

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٦٤، ٦٥.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٦٧، ٦٨، ٦٩.

وألقى حالى خطبة الافتتاح وحث حالى فيها قومه على تحصيل العلوم والفنون المختلفة وأخبرهم أيضا بأهمية الحركة الوطنية ويقول حالى فى هذه الخطبة: «إن تعليم الجامعة الحالى ليس كافيا لتقدم المسلمين بل منَ الضرورى أيضا أن تأخذ بناحية كل فروع المعرفة وأن نتقدم فى هذا السباق إلى الأمام وأنا من جانبى أشارك فيه بكل طاقتى وإلا فسوف نتخلى إلى الأبد وفى زمن قريب جداً ليس فقط عن عزتنا وكرامتنا بل كذلك عن بقائنا ووجودنا» ثم قال بعد ذلك يجب الاهتمام بالحرفة والصناعة كذلك وكان حالى على حق وتفكيره سديداً لأن أكثر قومه من المسلمين لم يعتنوا بالصناعة والحرفة ولم يحتضنوا الحركة الوطنية بشكل كامل وكانت النتيجة هى عجز الدولة وتخلفها فى المجال الاقتصادى.

وبدأ حالى فى ذلك الوقت بكتابة «آل نامه» وهو نموذج فكاهى ساخر وللأسف لم يستطع أن يتمه، وينقد فيه تعصب كل فرقة ومذهب ويعترض على صفات حب الذات والحماقة والجهل وغيرها بطريقة ساخرة لا مثيل لها ويتضح منها بشكل كامل دقة نظر حالى وقوة عقليته فى هذا العمر المتأخر. وكانت رغبة حالى القوية أن تتهيأ له الراحة والهدوء فى آخرأيامه حتى يستطيع أن ينجز أعماله المتبقية فى ذهنه فكان يريد ترتيب أشعاره العربية والفارسية وكتابة كتاب فى التذكير والتأنيث فى اللغة الأردية وكتابة قصة أو مسرحية قيمة باللغة الأردية علاوة على ترجمة قصة أو مسرحية شهيرة عن اللغات الأجنبية الأخرى تستخدم كنموذج فى اللغة الأردية، ويقول مولوى عبد الخالق؛ إن حالى كان يرغب فى كتابة مسرحية أو قصة وكان يتراكم فى ذهنه أعمال قيمة كثيرة لكن المرض والشيخوخة والمشاكل المنزلية حالت دون إنجاز هذه الأعمال.

وفى سنة ١٩١١م دعاه مولوى عبد الحق بإصرار شديد إلى اورنگ آباد حيث الطقس الرائع والبيئة المناسبة له لكى يستطيع أن ينجز أعماله ولكنه اعتذر له عن تلبية الدعوة لمرضه وشيخوخته وفى طريقه للبحث عن الهدوء ذهب حالى ليقيم عند صديقه لياقت حسين فى فريد آباد ومكث عنده من أكتوبر حتى ديسمبر سنة ١٩١٢م وهناك رتب أشعاره الفارسية والعربية والتى طبعت بعد وفاته، وأرسل حالى خطابا لصديقه تصدق حسين فى ١٧ مايو ١٩١٣ من فريد آباد أى قبل وفاته بعام ونصف و يبدو منه أنه لا يأمل أن يبقى حيا أكثر من ذلك فقد سئم الحياة وكان يريد أن ينجز أعماله المتبقية

بسرعة على الرغم من مرضه وشيخوخته.

وفى فريد آباد أيضا لم يجد حالى الفرصة للعمل بإطمئنان بسبب تردد الناس عليه للاستمتاع بلقائه ليلاً ونهاراً وضاعت معظم أوقاته وتدهورت صحته وأصيب بعدة أمراض مثل الزكام والربو والانفلونزا والبواسير وقد لازمته هذه الأمراض باقى عمره، وفى آخرعمره ضعف بصره ووهنت أسنانه وأثّرت على أعصابه وقد اشتكى حالى فى خطاباته أكثر من مرة من مرضه غير أن هذه الشكوى تأتى عرضا وبأسلوب مختصر جداً وكتب حالى ذات مرة لابنه خواجه سجاد حسين بعد أن سمع بخبر مرضه «إن هذه الأمراض تزداد بسبب غفلتى وعدم اهتمامى فأحيانا لا أخذ العلاج بانتظام وبدأت الدورة الدموية فى الاضطراب. ولا اهتم كثيراً بالغذاء لكن يجب أن تأخذ منى النصيحة فجميع محاسن الدنيا والدين متوفرة للأصحاء أما المريض فيستوى عنده الوجود والعدم» وينصح حالى ابنه بالمحافظة على صحته فيقول له: «تناول الطعام سريع الهضم والغذاء الخفيف وكل قليلا ثلاثة أوأربع مرات يوميا واشرب الماء المصفى وداوم على المشى ميلين أو ثلاثة أميال فى وقت معتدل».

وعلى الرغم من الأمراض الكثيرة التى كان حالى يعانى منها إلا أنه كان يتبع أساليب الحيطة والحذر والنظام فى حياته وظل رغم ذلك العف المستمر فى إنجاز أعماله وخدماته العلمية والأدبية طيلة سنوات عمره الثمانين تقريبا وحتى قبل وفاته بعدة أشهر كان يسافر ليحل المشاكل الأسرية بين الناس ويصوم ويحافظ على جميع حقوق الله، وقبل وفاته بشهور قليلة تأثرت أعصابه وفقد القدرة على الكلام إلا أنه كان يفهم الكلام الذى يدورحوله وترتسم على وجهه ابتسامة خفيفة ويبدو فى عينيه الإدراك والفهم لكن لا يستطيع الرد، وفى ٣١ ديسمبر ١٩١٤م فاضت روحه الطاهرة وودع هذا العالم الفانى بعد أن وضع الأساس للشعر الأردى الحديث ونال منزلة الإمامة فى النقد الأدبى وحكى قصة تقدم المسلمين وتأخرهم فى مسدسه.

قبرحالى: ودفن حالى فى قبر جميل من حجر المرمر على شاطئ حوض فى السور الخارجى لصحن زاوية أبو على قلندر صاحب بپانى پت[١].

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص ٦٧ - ٧٤.

ويقول الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى: يجب أن أصحح خطأ هنا فقد كتبت صالحة عابد حسين فى كتابها «يادگار حالى» نام حالى بسلام فى قبر جميل من حجر المرمر، ونقل عنها الدكتور شجاعت سنديلوى فى كتابه «حالى بحيثيت شاعر» مع أنه فى الحقيقة مدفون على إحدى المصطبات بجواره قبور أخرى وليس من حجر المرمر ومثبت عليه نصب من الحديد وهذا القبر ليس عليه أى لوحة أوعلامة والعلماء من الناس فقط هم الذين يعرفون أن هذا هو قبر حالى[1].

(١) محمد اسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى. الجزء الأول ص ٣٤٥.

obeikandl.com

مؤلفات ألطاف حسين حالى

أولاً: مؤلفاته النثرية:

كانت هناك بعض النماذج النثرية فى الأدب الأردى قبل حركة على گرھ وتتميز هذه النماذج بالبساطة والصفاء فى الأسلوب مثل مؤلفات كليه وليم فورت وكليه دهلى وخطابات مرزا غالب ومقالات مجلة « محب هند » وتراجم شمس الأمرا، لكن بعد ثورة ١٨٥٧م أخذ النثر الأردى طابعًا جديداً تحت تأثير العلوم والفنون الغربية الجديدة وحركة على گرھ. ويقول افادى: إذا لم يكن قد كتب أى تاريخ للأدب الأردى فإن القرن التاسع عشر يعتبر مهداً جديداً وبداية لحركة البعث فى الأدب الأردى، ففى هذا العهد وصل النثر الأردى إلى درجة الجودة بجهود السير سيد أحمد خان والطاف حسين حالى ومحمد حسين آزاد ونذير أحمد وشبلى النعمانى، وتطور النثر الأردى بإسهامات هؤلاء العناصر الخمسة واجتازت اللغة الأردية مراحل التطور بفضل مؤلفاتهم. وكان لحالى منزلة هامة بين هؤلاء الأدباء بسبب مؤلفاته النثرية التى تتميز بالبساطة والصفاء وعلى درجة عالية من الجودة الفنية من الناحية الأدبية وهذه المؤلفات تعتبر حلقة أساسية فى دراسة التطور الفكرى فى مؤلفات حالى النثرية فى الفترة الأولى من حياته، غير أن هذه المؤلفات الأولية لم تحدث أى تغيير من ناحية الموضوع لأنها تتناول الأمور الدينية والمسائل الأخلاقية(١).

ويعتبر حالى من كتاب النثر المرموقين فى الأدب الأردى وقد ساهمت مؤلفاته النثرية فى تطور النثر الأردى ولا تقل مكانة فى النثر عنها فى الشعر وتميزت كتاباته النثرية فى المرحلة المتأخرة بالخيال الشعرى لكونه شاعراً. **وقد ترك حالى مؤلفات كثيرة فى النثر فى موضوعات مختلفة ويمكن تقسيمها من ناحية الموضوعات إلى خمسة أقسام:**

١ - **مؤلفات دينية**: وهى معظم ما ألفه فى المرحلة الأولى من حياته (١٨٥٥-١٨٧٢م) وتتميز بالطابع الدينى والدفاع عن الإسلام فى وجه المبشرين المسيحيين وإثبات النبوة والوحى ومناقب الرسول الكريم وهى: (١) رسالة فى تأييد الأمير صديق حسن خان. (٢) مولود شريف. (٣) ترياق مسموم (٤) تاريخ محمدى

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى. صـ٦٠.

« منصفانه رائے » (٥) شواهد الإلهام[١].

٢ - **مؤلفات فى الأدب واللغة**: وهى (١) أصول فارسى (٢) مجالس النساء.

٣ - **مؤلفات فى التراجم والتاريخ**: وهى (١) حيات سعدى. (٢) حيات جاويد (٣) يادگار غالب. (٤) تذكرة رحمانية. (٥) حالات حكيم ناصر خسرو.

٤ - **كتاب فى علم طبقات الأرض**: وهو مبادىء علم الجيولوجيا.

٥ - **كتاب فى نقد الشعر**: وهو « مقدمة شعر وشاعرى ».

وإلى جانب هذه المؤلفات كتب حالى العديد من المقالات فى المجلات المختلفة والجرائد وكانت تنشر له من وقت لآخر وهى فى موضوعات متعددة، وكان ينقد فيها الكتب الدينية والتاريخية والمجلات التى كانت فى عصره وقد قام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بجمع هذه المقالات إلى جانب المحاضرات والخطب التى القاها حالى فى مناسبات مختلفة ورتبها حسب الموضوعات فى جزئين بإسم « كليات نثر حالى »[٢] ونشرها فى لاهور عام ١٨٦٧. كما قام مولوى سيد وحيد الدين سليم پانى پتى بنشر مجموعة من مقالات حالى سنة ١٩٠٢م باسم « مضامين حالى » ولكن هذه المجموعة غير كاملة. وقامت بعد ذلك جمعية تطوير اللغة الأردية « انجمن ترقى اردو » بترتيب ونشر جميع مقالات وتعليقات حالى فى جزئين باسم « مقالات حالى »[٣].

وفى سنة ١٩٢٤م قام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بجميع مجموعة ضخمة من رسائل حالى وقام بترتيبها فى كتاب بإسم « مكاتيب حالى »[٤]. وفى سنة ١٩٢٥م قام خواجه سجاد حسين الابن الأصغر لحالى بنشر رسائل حالى فى كتاب باسم « مكتوبات حالى » وذلك فى « مطبعة حالى » بپانى پت[٥].

وبالإضافة إلى ذلك هناك بعض الكتب الأخرى التى لم يستطيع حالى أن يكملها فى حياته وهى:

١ - رسالة فى التذكير والتأنيث فى اللغة وقواعدها[٦].

---

(١) هذه الكتب متوفرة لدينا الآن وقد اعتمدت فى وصفها على ما جاء فى كتب تواريخ الأدب الاردى.

(٢) طبعة مجلس ترقى ادب. لاهور.

(٣) افتخار صديقى. كليات نظم حالى. ١ / ١٥.

(٤) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كا حصه صـ٧٩٣.

(٥) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. صـ٣١٣.

(٦) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: ١ / ٤٣٧.

٢ - **آل نامه**: وهى نموذج فكاهى ساخر، يضيف فيه حالى الف ولام التعريف على بعض الكلمات العربية والفارسية لتعطى معنى جديداً يعترض فيه حالى على تعصب الأديان والفرق والجهل والحماقة وغيرها من الصفات. **وفيما يلى نماذج منها**:

المذهب: اعلان جنگ : اعلان الحرب

الدين: تقليد آبا واجداد: تقاليد الآباء والأجداد

العلم: قسم ازجهل مركب: نوع من الجهل المركب

الامتحان: آزمائش لياقت ممتحنان: امتحان لصلاحية الممتحنين.

اليونيورستى: كارخانه كلرك سازى: مصنع لصناعة «الكتبه الحكوميين».

المسلمانان هند: چون مار گزيده ازريسمان ترسند گان: مثلهم كمثل من تلدغه الحيه يخاف من الحبل.

العلى گرطهـ پارىط: شهيد وفا: شهيد الوفاء.

العلى گرطهـ كالج: پرورش گاه طفلان بدست مائندران: مكان لتربية الأطفال على يد المربيين.

الانجمن هاى إسلامية: سبزه برشگال: خضرة أيام المطر.

الاتفاق درمسلمانان: چون اجتماع در نقيضين: مثلهم كمثل الجمع بين النقيضين.

الرئيس: آن كه ازرياست - خبر باشد: الذى لا يعرف شيئًا عن أمور الرئاسة.

الأمير: آن كه تهى دست وقرض دار باشد: هو خالى الوفاض ومدينًا.

المولوى: آن كه مسلمانان را ازدائرة اسلام خارج مى كرده باشد: من يطرد المسلمين من دائرة الإسلام.

الواعظ: آن كه درتفريق بين مسلمانان خطا نه كند: الذى لا يخطىء فى التفريق بين المسلمين.

الشكار: بنهانه آدم كشى: عذر قتل الإنسان.

الكميشن: وجه موجه برائى فيصله يكطرفه: الشئ المنحاز لطرف واحد(١).

---

(١) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: جـ١. ٤٩٥-٤٩٦.

– النيشنل كانگريس: درحق تعليم هند چون بغاوت ١٨٥٧م در حق أسلحة أهل هند: مثله فى حق التعليم الهندى كمثل ثورة ١٨٥٧م فى حق أسلحة الهنود.

وتقول صالحة عابد حسين «كان حالى يرغب فى كتابة قصة أو مسرحية قيمة باللغة الأردية أو يقوم بترجمة قصة أو مسرحية شهيرة من اللغات الأجنبية إلى اللغة الأردية تستخدم كنموذج لهذين الفنين فى الأدب الأردى، ويقول مولوى عبد الحق: من المعروف أن حالى كان يرغب فى كتابة مسرحية وكان يجول بخاطره أعمال كثيرة قيمة ولكن الشيخوخة والمرض والمشاكل الأسرية لم تمنحه أى فرصة لانجاز هذه الأعمال[١].

وكتب حالى معظم مؤلفاته باللغة الأردية ما عدا أول رسالة ألفها فى تأييد نواب صديق حسن خان فقد كانت باللغة العربية وقد مزقها استاذه نوازش على لخلاف مذهبى بينهما وبذلك ضاع أول مؤلف لحالى نتيجة للتعصب الدينى ويبدو من هذه الرسالة مدى قدرة حالى على التأليف باللغة العربية وهو فى هذه المرحلة المبكرة من عمره فلم يكن قد تعدى الثامنة عشر عامًا، كما قام حالى بترجمة أحد الكتب من العربية إلى الأردية وهو «مبادىءعلم الجيولوجيا» تأليف سير تشارلز ليل، وكتب بالفارسية تحقيق كتاب «سفر نامه حكيم ناصر خسرو». وبالإضافة إلى ذلك ترك حالى مجموعة من المقالات فى النثر بالعربية والفارسية وقام حالى بترتيبها وجمعها قبل وفاته، وطبعت بعد وفاته بعدة أشهر فى أغسطس ١٩١٤ مع اشعاره الفارسية والعربية باسم «ضميمه اردوكليات نظم»[٢].

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى. ص٩٩.

(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: ١/٣٤٣.

١ - مؤلفات حالى الأولية

١ - مولود شريف:

أى المولود الشريف وهو سيدنا محمد ﷺ وهو أول كتاب نثرى لحالى كتبه فيما بين الأعوام ١٨٦٤م و ١٨٧٠م وطبع هذا الكتاب لأول مرة باهتمام خواجه سجاد حسين ابن حالى وكتب مقدمة له ونشر فى «مطبعة حالى» بپانى پت، ويبدأ هذا الكتاب بالحمد والثناء للخالق عز وجل وذكر نعمه الكثيره وشكره عليها والاعتراف بالعجز البشرى أمام قوة الله وعظمته وذكر صفات الله، ثم يذكر حالى بعد ذلك صفات الرسول ومناقبه بإسلوب سلس يعدد فيه صفات الرسول مثل الكرم والأسوه الحسنه والحب والعفو عند المقدره والفقر والشفاعة ويتحدث عن ولادة الرسول والمعجزات التى أتى بها يوم ميلاده مثل تصدع ايوان كسرى وخمود نار المجوس وغور المياه فى بحيرة ساوه بايران ثم يتناول - معجزات النبوة، واسلوب حالى فى هذا الكتاب شبيه بالكتب الرائجه فى عصره آنذاك والتى تناولت هذا الموضوع مثل كتاب «مولود أكبر» وقد كرر حالى فى هذا الكتاب ما جاء فى كتب السيرة النبوية(١)، وفى نهاية الكتاب مناجاة نثرية غاية فى القوة والعذوبة وهى أفضل من المناجاة الشعرية(٢) وهذه المناجاه موجودة فى مقالات حالى(٣) ويحتوى هذا الكتاب على ٩٨ صفحة ولغته تقليدية قديمة ويستعمل حالى فيه كلمات فارسية وعربية كثيرة بطريقة تمثيلية يتغلب عليها الجانب العاطفى والعقيدى وقد رجع حالى فى هذا الكتاب إلى الانجيل والتوراه(٤).

٢ - ترياق مسموم:

«الدواء السام» وهو ثانى مؤلفات حالى النثرية وقد كتبه عام ١٨٦٧م رداً على كتاب القس المرتد عماد الدين(٥) «هدايت المسلمين» والمعروف أيضًا باسم «تحقيق

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى صـ٦١، ٦٢.

(٢) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا صـ١٥.

(٣) حالى: مقالات حالى: جلداول صـ١-٣.

(٤) عبد القيوم: المرجع السابق صـ٦٣.

(٥) كان عماد الدين من سكان پانى پت ولد عام ١٨٢٠م وارتد إلى المسيحية عام ١٨٦٦م وكان المبشرون =

الإيمان »[١].

ويتناول حالى فى كتابه تهم عماد الدين الموجهة للإسلام ويرد عليها بأسلوب هادىء وبطريقة استدلالية[٢] وقد ذكر صاحب تذكرة حالى أن رد حالى كان ينشر فى مجلة « خير المواعظ » الشهرية فى ذلك الوقت فى دهلى على أجزاء ولم ينشر على هيئة كتاب منفصل[٣] وقد كتب حالى هذا الكتاب أثناء اقامته فى جهانگير آباد[٤] – ولهذا الكتاب أهمية كبرى من الناحية الدينية لا تقل عن الناحية الأدبية ويبدو فيه أسلوب حالى البسيط السلمى كما يساعدنا على تتبع التطور الفكرى عند حالى[٥] ويتضح منه وقوف حالى على أهم احداث عصره وفطنته فى الرد على القس عماد الدين[٦].

٣ – مبادىء علم البيولوجيا (علم طبقات الأرض):

ومؤلف هاذ الكتاب سيرتشارلز ليل Sir Charles Lyell وكتبه عام ١٨٣٠م باللغة الفرنسية[٧].

يقول حالى: وبعد ذلك قمت فى لاهور بترجمة كتاب من اللغة العربية إلى الأردية فى علم طبقات الأرض وقد ترجمه أحد المصريين الأفاضل من الفرنسية إلى العربية وقد

= المسيحيون قد انتشروا بكثرة فى الهند بعد الثورة ونشروا الفتنة بين المسلمين معتمدين على سلطة الانجليز السياسية وكانوا يلقون العون والمساعدة من الحكومة الانجليزية وقد قاموا بتسميم الجو الدينى وحاولوا نشر المسيحية بمختلف الطرق وقد وقع كثير من المسلمين فى شراكهم نتيجة وعودهم بالمطامع الدنيوية كالوظائف الحكومية والأموال وكان عماد الدين من الذين تحولوا إلى المسيحية طمعًا فى المال والوظيفة عند الانجليز وتبعه أخوه خير الدين وأبوهما سراج الدين وأصبحوا مبشرين بالدين المسيحى لكن سراج الدين وابنه خير الدين عادا واعتنقا الإسلام مرة أخرى فى حين استمر عماد الدين ينفث سمومه ضد الإسلام والمسلمين وظل يكتب الكتب المختلفة فى مهاجمة الإسلام ونبيه بإتهامهم بتهم كاذبة وقد قام علماء الدين بالرد عليه وعلى افتراءاته ومنهم چراغ على ومولانا قاسم نانوتوى ومحمد على مونگيرى وقد كتب حالى هذا الكتاب « ترياق مسموم » للرد عليه.

(١) حالى: ترجمة حالى ص٣٤١.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص٦١، ٦٢.

(٣) محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى ص١١٩.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص١٧.

(٥) محمد اكرام سابنوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعة ص٧٢.

(٦) رام بابو سكسينة: تاريخ ادب اردو ص٤٥٤.

(٧) ماثيو آرنولد: مقالات فى النقد: رجمة على جمال الدين عزت. الدار المصرية للتاليف والترجمة. ط١. ١٩٦٦. ص٥.

أعطيته لجامعة البنجاب بدون أى تعويض مالى لحق الترجمة وقد طبعته جامعة البنجاب ونشرته فى عهد الدكتور لايتزو كان الكتاب الأصلى قد كتب منذ ثمان وخمسين سنة[١] مضت، أى فى بداية ظهور علم الجيولوجيا وكنت غريبًا على هذا العلم ولهذا لم يخل الأصل والترجمة من الأخطاء[٢] ويتكون هذا الكتاب من ١٣٨ صفحة وقد كتب على غلاف الكتاب الخارجى «مبادىء علم الجيولوجيا وهو فى بيان طبقات الأرض ترجمة مولوى الطاف حسين حالى پانى پتى مدرس أول اللغات الشرقية فى المدرسة الانجلو عربية بدهلى وهو ترجمة لكتاب عربى مترجم عن الفرنسية وقد طبع عام ١٨٨٣م فى مطبعة جامعة البنجاب[٣] ويقول غلام مصطفى خان إن ترجمة هذا الكتاب تمت عام ١٨٧٢ أثناء إقامته فى لاهور[٤]. ويذكر حامد حسن قادرى أن اسم هذا الكتاب «طبقات الأرض» وقد تمت هذه الترجمة عن اللغة العربية وطبعت عام ١٨٦٨م[٥] ويقول محمد إسماعيل پانى پتى إن هذه الترجمة تمت فى الغالب عام ١٩٦٨م[٦]. ويعترض الدكتور عبد القيوم على هذا لأن حالى ترجم هذا الكتاب أثناء وجوده فى لاهور وجاء حالى إلى لاهور بعد وفاة شيفته عام ١٨٦٩م وظل حالى بلاهور أربعة أعوام وترجم هذا الكتاب عام ١٨٧٢ وبذلك يتفق فى رأيه مع غلام مصطفى خان. ويتكون هذا الكتاب من مقدمتين ويبدأ فى تعريف علم الجيولجيا وذكر مراحل تطوره ثم يبحث فى تاريخ الأرض ويتساءل هل الدنيا أبدية أم أزلية ويثبت بالأدلة أن وجود الإنسان على الأرض ليس منذ زمان بعيد وكل الكائنات على سطح الأرض ليست أزلية ثم يذكر آراء العلماء المختلفة فيما يتعلق بعمر الأرض.

وفى الباب الأول يتحدث المؤلف عن حرارة الأرض وفى الثانى عن الطوفان وكيفية حدوثه وأسبابه وفى الباب الثالث يتحدث عن النظريات الجيولوجية المختلفة وتعريف لطبقات الأرض فى كل الأزمنة الجيولوجية ومميزات كل طبقة ومعادن الأرض المفيدة وكيفية استخراجها واستغلالها ويبدو أسماء المدن والجبال الفرنسية فى هذه الترجمة

---

(١) حامد حسن قادرى: داستان تاريخ اردو ص٥٨٦.

(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى صـ١٢٠.

(٣) محمد إكرام سابنوى: حالى واكبر كاخصوص مطالعه صـ٧٢.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ٢٩.

(٥) حامد حسن قادرى: داستان تاريخ اردو صـ٥٨٦.

(٦) محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى صـ١٢٠.

ويتضح منها أن المؤلف الأصلى الفرنسى كان يضرب الأمثلة على بلده فرنسا، وعلى الرغم من عدم معرفة حالى لهذا العلم إلا أن عباراته واضحة بحيث يستطيع عامة الناس أن يفهموها بسهولة علاوة على المتخصصين فى هذا العلم(١).

٤ - أصول فارسى:

وهذا الكتاب فى «قواعد اللغة الفارسية» وكتبه حالى سنة ١٨٦٨م(٢) ولكنه لم يطبع كما أن حالى لم ينته من كتابته كاملاً وكان هذا الكتاب موجوداً فى منزل حالى قبل اضطرابات عام ١٩٤٧م ولكنه فقد وقد عثر الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى على مسودة بخط حالى لمقدمة هذا الكتاب ونشرها فى مجلة «نقوش» عدد اكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥٣م **ويحتوى هذا الكتاب على خمسة أقسام هى:**

١ - **القسم الأول فى علم الصرف**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم الصرف، والباب الأول فى بيان الحروف، والباب الثانى فى بيان المصدر والمشتق، والباب الثالث فى بيان الجامد، والخاتمة اسئلة عن علم الصرف.

٢ - **القسم الثانى فى علم النحو**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم النحو والباب الأول فى بيان الأسماء، والثانى فى بيان الأفعال، والباب الثالث فى بيان الحروف، والباب الرابع فى بيان المركب الناقص، والباب الخامس فى بيان المركب التام، والخاتمة اسئلة فى علم النحو(٣).

٣ - **القسم الثالث فى علم المعانى**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم المعانى، والباب الأول فى إسناد الخبر، والباب الثانى فى بيان المسند والباب الرابع فى بيان متعلقات الفعل والباب الخامس فى بيان القصر والباب السادس فى بيان الإنشاء

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٧٠، ٧١، وصالحه عابد حسين: يادگار حالى صـ٤٠ ورام بابوسكسينه: تاريخ ادب اردو صـ٤٥٤.

(٢) يؤكد الشيخ إسماعيل پانى پتى على أن هذا الكتاب الفه حالى عام ١٨٦٨م، ولكن الدكتور غلام مصطفى خان يذكر فى كتابه «حالى كاذهنى ارتقا صـ٣٢ ان سنة تاليف هذا الكتاب ١٨٧٢م. فى حين أن حامد حسن قادرى يذكر فى كتابه «داستان تاريخ اردو: ص٥٨٦ أن سنة تاليف هذا الكتاب كان عام ١٩٦٨م دون أن يذكر الأدلة على ذلك.

(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٧٢، ٧٣.

- محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٧٣.

والباب السابع فى بيان الوصل والفصل، والباب الثامن فى بيان الإيجاز والإطناب والمساواة والخاتمة اسئلة فى علم المعانى.

٤ - **القسم الرابع فى علم البيان**: ويتكون من مقدمة مصطلحات علم البيان والباب الأول فى بيان التشبيه، والباب الثانى فى بيان الاستعارة، والباب الثالث فى بيان المجاز المرسل، والباب الرابع فى بيان الكتابة والخاتمة اسئلة فى علم البيان.

٥ - **القسم الخامس فى علم البديع**: ويتكون من مقدمة فى مصطلحات علم البديع والباب الأول فى بيان المحسنات البديعية والباب الثانى فى بيان الصنعة اللفظية، والخاتمة اسئلة فى علم البديع(١).

ولو أن هذا الكتاب قد تم لأصبح مفيداً جداً لطلبة اللغة الفارسية، وقد كتب هذا الكتاب بخط واضح ويقع فى ٢٥٩ صفحة وقام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بكتابة حواشيه وتوضيح بعض النقط الغامضة(٢).

٥ - پادرى عماد الدين كى «تاريخ محمدى» برمنصفانه رائى:

(الرأى الصائب على كتاب «تاريخ محمدى») نشر فى سنة ١٨٦٨م كتاب حالى «ترياق مسموم» رداً على كتاب القس عماد الدين المعروف بـ«تحقيق الإيمان» وفى سنة ١٨٧٢م قام هذا القس بكتابة كتاب عن حياة الرسول ﷺ ونشر باسم «تاريخ محمدى» فقام حالى بكتابة هذا الكتاب رداً على كتاب «تاريخ محمدى»(٣) ويقول الشيخ إسماعيل پانى پتى فى مقدمة هذا الكتاب: فى سنة ١٨٧١م» قام القس عماد الدين بتأليف كتاب آخر عن حياة الرسول باسم «تاريخ محمدى» ونشر هذا الكتاب المشهود فى ٣١٢ صفحة ويتهم فيه الرسول باتهامات كاذبة وافتراءات دنيئة وحاول تشويه الحقائق التاريخية، وعندما قراه حالى تالم كثيراً وقام بالرد عليه بأسلوب منطقى هادىء ومدعم بالأدلة(٤)، وهذا الكتاب يحتوى على خمسين صفحة وغير مقسم إلى أبواب أو عناوين وكتب حالى فى مقدمته بحثاً فى شروط كتابة السيرة الذاتية والقواعد التى

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٧٥، ٧٦.
- محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٧٣.
(٢) محمد إسماعيل پانى پتى: كليات نثر حالى: ١/ ٤٤٠-٤٤٩.
(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثر نگارى صـ٧٧.
(٤) الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى: تذكرة حالى صـ١٣٠. وافتخار صديقى: كليات نظم حالى جـ١.

تحكمها ونبه على أهمية الحيطة فى التأليف لأن القس عماد الدين قد استغل الكتابة استغلال وقح واختار هذه الطريقة الشنيعة المذمومة فى التأليف بعد أن وقع صيداً للحقد والكراهية واختلق الأساطير الكاذبة من وحيه وأقام عليها سيلاً من الافتراضات والافتراءات بخصوص الإسلام ونبيه وقد أثبت حالى خطأها وأكد بقوة على إثبات الأدلة والمراجع التى كتبت بعدل عن حياة الرسول ﷺ(١).

وأسلوب الكتاب استدلالى مدعم بالأدلة القاطعة والبراهين العقلية بطريقة منطقية(٢).

٦ - شواهد الإلهام:

ويثبت حالى فى هذه الرسالة بالدلائل العقلية ضرورة الوحى وأهميته، وقد كتب حالى هذه الرسالة عام ١٨٧٢م وتقع فى ٢٢ صفحة وكتبت هذه الرسالة بأسلوب استدلالى واضح يذكر فيه حالى الأمثلة حسب أهميتها فى إثبات فكرته كما يفعل الأستاذ مع تلاميذه من أجل توصيل الفكرة إلى عقولهم وبمساعدة هذه الأمثلة يخرج حالى بنتائج منطقية، ويوضح حالى أفكاره بطريقة مؤثرة يغلب عليها جانب العقيدة الدينية ويظهر قدرته على الكتابة باللغة العربية فى ثنايا هذه الرسالة(٣).

وعلى الرغم من أن موضوع هذه الرسالة دينى إلا أن حالى لم ينحز لعواطفه وتحرى فيها جانب الصدق والحقيقة(٤). وكان أسلوب حالى قبل أن يصل إلى لاهور بصفة عامة يميل إلى الطابع الدينى ولم يظهر فيه أى أثر للميول والنزعات الجديدة أو التذوق الأدبى، ولكن بعد وصوله إلى لاهور سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع على هذه المؤثرات الجديدة فى مجال الأدب والتأليف وتوسعت مداركه عندما عمل فى مكتبة البنجاب الحكومية وجمعية البنجاب وتفجرت مواهبه خاصة بعد حركة السيرسيد(٥).

---

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثر نگارى صـ٧٩.

(٢) محمد إكرام سانبوى. حالى وأكبر كاخصوص مطالعه صـ٧٤. يذكر غلام مصطفى خان فى كتابه «حالى كا ذهنى ارتقا» صـ٣٢ أن سنة تأليف هذا الكتاب عام ١٨٧٢م.

(٣) عبد القيوم: المرجع السابق صـ٨٠، ٨١.

(٤) محمد إكرام سانبوى: المرجع السابق صـ٧٤.

(٥) عبد القيوم: المرجع السابق صـ٨٢.

٧ - مجالس النساء:

يقول حالى: «كتبت فى لاهور كتابًا لتعليم النساء فى أسلوب قصصى يُعرف بمجالس النساء وبسببه أهدانى اللورد بروك[١] أربعمائة روبيه وقد ظل هذا الكتاب مقررًا لفترة فى مدارس البنات فى اودهـ والپنجاب»[٢] وألف حالى هذا الكتاب عام ١٨٧٤م وهو فى جزئين وطبع الجزء الأول منه فى نفس السنة فى المطبعة المحمدية بلاهور ولكن هذه النسخة مفقودة الآن ويوجد طبعة «مطبعة حالى» بپانى پت[٣]. ويشتمل هذا الكتاب على تسعة أبواب أو مجالس يتناول فيها حالى الأمور الاجتماعية المختلفة والهامة للنساء ويذكر أهمية العلم وأفضل الطرق لتعليم الأطفال بسهولة، وأوهام النساء وعاداتهم البالية وقدم عدة نصائح تتعلق بأمور الحياة المختلفة، مثل طريقة نذير أحمد فى كتابه «مرآه العروس» ١٨٦٩م الذى ألفه لتربية النساء[٤]. وكتاب مجالس النساء ذات أهمية خاصة بالنسبة لمؤلفات حالى الأولية فى النثر الأردى لأنه يساعدنا على فهم أفكار حالى فيما يتعلق بالمرأة وكيفية إصلاح أوضاعها فى المجتمع الهندى ويعتبر هذا الكتاب الأول فى سلسلة مهمته الإصلاحية، وحاول حالى فى هذا الكتاب إصلاح حياة المرأة الاجتماعية بأسلوب قصصى سهل وانتقد حالى فيه جهل النساء وتمسكهن بالعادات القديمة وكتب هذا الكتاب على لسان نساء دهلى وبلغة الأسر العريقة، ويوجد فيه كثير من الجمل والعبارات والألفاظ والأمثلة التى كانت نساء الأسر العريقة والأشراف فى دهلى يستخدمنها فى حياتهن اليومية[٥] وقد كتب فى الأردية عدة كتب فى هذا الموضوع قبل كتاب «مجالس النساء» «مثل قصة» مرآه العروس» و«بنات النعش» لنذير أحمد وقد نالت هذه القصص شهرة عظيمة، كما ظهرت عدة كتب أخرى فى تربية النساء منها «مفيد الخلائق» لـ«عنايت حسين الدهلوى عام ١٨٦٩ و«انشا مفيد النسا» لمولوى عبد الله الذى اهتم فيه بتعليم النساء ومثله كتاب «مفيد النساء» لمولوى عبد الحامد وكتبه عام ١٨٧٢م وكان هدفه أيضًا إصلاح حياة النساء الاجتماعية وانتقد فيه جهلهن وتمسكهن بالبدع والتقاليد البالية وضيق نظرهن واعتمادهن على التعاويذ

---

(١) اللورد بروك: حاكم الهند فى سنة ١٨٧٢م حتى سنة ١٨٧٦م.

(٢) حالى: ترجمة حالى صـ٣٤١.

(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٨٢.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ٤٢.

(٥) رام بابوسكسينه: تاريخ ادب اردو صـ٤٥٤ وصالحه عابد حسين: يادگار حالى صـ٤٠، ٤١.

والطرق القديمة فى مداواة المرضى بدلاً من العلاج المفيد مما يؤدى إلى تفشى المرض، والشخصيات الرئيسية فى «مجالس النساء» هن نساء دهلى ويجرى الحوار على لسان عجوز وابنتها شاه جى بأسلوب قصصى ممتع تعترض فيه الفتاة على تمسك أمها بالتقاليد القديمة البالية وحاول حالى تخليص النساء اللاتى مازلن على تمسكهن التعاويذ والشعوذة والأوهام والخرافات فى حياتهن اليومية، وتبدأ القصة بكيفية تعليم الأطفال وأصول تربيتهم وأى الطرق المثالية لتحقيق ذلك وحذر من التدليل الزائد فى معاملة الطفل والقى بالمسئولية كاملة على عاتق الأم فى تربية أبنائها ولذلك يجب تعليم النساء حتى يعلمن أبناءهن خاصة فى المرحلة الأولى من حياتهم، حيث يكونون أكثر قبولاً ومثولاً للتوجيه والتربية[١]، وعلى الرغم من أن كتاب «مجالس النساء» لا يعتبر قصة بالمعنى الفنى مثل قصص نذير أحمد «مرأة العروس» و«بنات النعش» إلا أنه يعتبر مرحلة من مراحل تطور القصة الأردية وكان حالى ينوى كتابة قصة بالمفهوم الفنى ولكنه توفى قبل أن يحقق ذلك ولكن حالى نجح إلى أبعد الحدود فى تصوير المجتمع الإسلامى على لسان نساء دهلى واستطاع بذلك أن يحفظ لنا الكثير من الألفاظ والعبارات المستخدمة فى ذلك الوقت، كما نجح أيضًا فى أهدافه الإصلاحية وحرر حالى النساء من الوهم وأثبت مقدرة فائقة فى معرفة لغة النساء والأمثال التى يستخدمونها فى حياتهن اليومية وتناول أحاديثهن بلغة سهلة غير متكلفة حتى قال الشيخ إسماعيل پانى پتى «يبدو من هذا الكتاب أنه من تأليف أحد النساء».

٨ - سفر نامه حكيم ناصر خسرو:

«رحلة ناصر خسرو» ترجم حالى هذا الكتاب عام ١٨٨٢م وهو باللغة الفارسية مع مقدمة طويلة وبحث فى فن التراجم والسيرة الذاتية وكتبه حالى بإتقان شديد وبذل فيه جهداً عظيمًا واستفاد فى تأليف هذا الكتاب من كتب التذاكر المشهورة. فى ذلك الوقت والتى تتناول هذا الموضوع، واطلع على كثير منها مثل: «تاريخ گزيده» تأليف حمد الله المستوفى وقد الفه عام ٧٣٠ هـ، و«مجمع الفصحاء» لرضا قليخان هدايت»، و«روضة الصفا» تأليف ميرخواند و«حبيب السير» تأليف غياث الدين المعروف بخواند مير والفه عام ٩٢٩ هـ و«تذكرة الشعراء» لدولتشاه السمرقندى والفها عام ٩٨٢ هـ

---

(١) عبد القيوم: المرجع السابق: صـ٨٣، ٨٤.

- محمد إكرام سابنوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٧٤.

و« آتش كده » تأليف لطفى على بيك آذربيكدلى والفها عام ١١٧٤ هـ، و« مفتاح التواريخ » لتومس وليم بيل و« تقويم التواريخ » لحاجى خليفة، علاوة على استفادته مما كتبه المستشرق الفرنسى شارلز شيفر[١] ويتضح من مقدمة الكتاب أن رحلة ناصر خسرو هذه كانت موجودة فى مكتبة نواب ضياء الدين أحمد حاكم لهارو، وقد جد فى طالبها المستشرق الفرنسى شيفر لترجمتها إلى اللغة الفرنسية وقد رأى حالى هذا الكتاب فى الغالب عند نواب ضياء الدين أحمد وقام بتحقيقه واعادة طبعة وكانت قد اشتهرت روايات خاطئة فى ذلك الوقت عن حياة ناصر خسرو ومؤلفاته فقام حالى بجمع أحداث حياته ووقائعها الصحيحة من كتب التاريخ المختلفة ونشر هذا الكتاب الذى يعد من أهم جهود حالى العلمية[٢].

وتقع مقدمة حالى لرحلة ناصر خسرو فى ٣٢ صفحة، ويعتبر ناصر خسرو من كبار الأدباء والرحالة فى القرن الخامس الهجرى وتوفى عام ٤٨١ هـ وتعتبر رحلته من أهم كتب الرحلات فى عصره وقد وصف ناصر خسرو البلاد التى زارها مثل مصر والحجاز والشام وفلسطين فى سبع سنوات بأسلوب بسيط سلس ويعتبر تحقيق حالى لهذه الرحلة ذات أهمية تاريخية كبرى نظراً لضياع معظم الكتب التى اعتمد عليها حالى فى ذلك الوقت، كما فقدت أيضًا النسخة الأصلية من هذه الرحلة وقد قام حالى بنشر هذه الرحلة مع تحقيق لها فى مطبعة خير خواه دهلى عام ١٨٨٣م، وقد قام مولوى عبد الرازق كانبورى بترجمة هذه الرحلة إلى اللغة الأردية مع حواشى قيمة ومقدمة فى فن كتابة التراجم ونشرتها جمعية تطوير اللغة الأردية « انجمن ترقى اردو » عام ١٩٤١م[٣]. كما قام محمد صديق طاهر شادانى بترجمة سفر نامه إلى اللغة الأردية ونشرها « مجلس ترقى ادب » عام ١٩٧٣م.

وفى مقدمة هذا الكتاب يقول حالى: مؤلف سفر نامه هو حكيم أبو المعين ناصر بن خسرو العلوى من شعراء خراسان القدماء، اشتهر بالعلم والحكمة. ولم تتناول أقلام المؤرخين أحداث حياته بدقة لذا حدث هناك تداخل بين الأحداث الصحيحة والكاذبة، ولعل السبب فى عدم الاهتمام بسيرته لمدة طويلة أو تناولها بدون اهتمام، يرجع إلى أن العصر الذى عاش فيه كان الخلاف المذهبى بين السنة والشيعة على أشده وكانوا يعتبرون

---

(١) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص٨٨.

(٢) صالحه عابد حسين: يادگار حالى ص٤٨.

(٣) غلام مصطفى خان: المرجع السابق ص٨٩.

ناصر خسرو من أئمة المذهب الإسماعيلى وكانوا يطلقون على الإسماعيلية لقب الملاحدة أو الباطنية(١).

وعندما بدأت افكاره واشعاره تنتشر فى كل مكان بدأ المؤرخون فى البحث عن مؤلفاته وسيرته الذاتية ويفرقون بين الصالح والطالح منها ومع ذلك يبقى هناك صعوبة فى معرفة احداث حياته بصورة صحيحة. وفى العصر الحديث كتب المستشرق الفرنسى شارلز شيفر كتابًا باللغة الفرنسية عن قصة حياته ولكننا لا نستطيع الاعتماد عليه لأننا لا نعرف اللغة الفرنسية(٢).

ومن أكبر الخلافات فى حياة ناصر خسرو هو تحديد سنة مولده، فمثلاً يذكر حمد الله المستوفى القزوينى فى تذكرته «تاريخ گزيده أن سنة ولادته ٣٨٥ هـ، بينما يذكر مؤلف «دبستان المذاهب» أنه ولد عام ٣٥٩ هـ فى حين أن صاحب «حبيب السير» يرى أنه ولد عام ٣٥٨ هـ لكننا لا نقبل هذه الأقوال الثلاثة ونرجح عليها رأى رضا قلى خان الذى أورده فى تذكرته «مجمع الفصحاء» الذى يقول أنه فى ٣٩٤ هـ وقد وافق شارلز شيفر على الرأى الأخير واستند فى ذلك على بيت شعر لخسرو يقول فيه «لقد ولدتنى أمى، بعد انقضاء ٣٩٤ عامًا من الهجرة»(٣) وبالنسبة لموطن ناصر خسرو يذكر كتاب التذاكر أنه من اصفهان إلا أن هذا الرأى ليس له وزن فالثابت أن آباءه وأجداده لم تكن لهم أى صلة بمناطق اصفهان والعراق العجمى وفارس وأن اجداده حتى على بن موسى الرضا وهو الجد الثامن له كانوا يسكنون خراسان وكانت بلخ عاصمة لخرسان لزمن طويل ويمكن أن نعرف موطنه من هذا البيت الشعرى:

يا نسيم الصبا إذا مررت على ديار بلخ　　عرّج على دارى واخبرنى باحواله(٤)

وقد حفظ ناصر خسرو القرآن الكريم فى طفولته وتعلم العلوم الأولى ودرس علوم عصره حتى صار من أشهر علماء خراسان والتحق بخدمة السلاجقة وكان مقربًا من

---

(١) حالى: سفرنامه حكيم ناصر خسرو. مجلس ترقى ادب. لاهور ١٩٧٣م ص١.

(٢) حالى: سفر نامه حكيم ناصر خسرو ص٢-٣.

(٣) بگزشت زهجرت پس سيصد ونود وچهار　　بنهاد مرا مادر بر مركز اغبر

(٤) اے باد عصر گرگزرى بردبار بلخ　　بگزر بخانه من وآنجا بجوى حال

چفريک وعمل كاتبًا عنده وفى سنة ٤٣٧ هـ أراد أن يسافر إلى الحجاز فترك هذه الوظيفة وبدأ رحلته من خراسان إلى العراق العجمى وآذربيجان ووصل ارمينية ومنها للشام وفلسطين والعراق ووصل إلى مكة ومنها إلى مصر، حيث قضى بها ثلاث سنوات ومن مصر زار الحجاز مرتين وكان يعود إليها مرة أخرى، ويقول كتاب «روضة الصفا» و«حبيب السير» و«دبستان المذاهب» أنه مكث بمصر سبع سنوات ولكن ناصر خسرو يكذب ذلك فى «سفر نامه»، وفى نهاية رحلته عام ٤٤١ هـ عاد من مصر فزار الحجاز واليمن والحساء والبصرة وخليج فارسى ومنه إلى بلاد فارس وخراسان حتى وصل إلى بلخ عام ٤٤٤ هـ(١).

وهناك اختلاف أيضًا حول سبب قيام ناصر خسرو برحلته، فنعرف من كتابه «سياحتنامه» أنه مر بالعراق العربى مرتين لكنه لم يوضح هل كان ذلك من أجل زيارة العتبات المقدسة والكاظمية والنجف وكربلاء وكان الشيعة يزورونها للتبرك، ويذكر حالى أن صاحب «روضة الصفا» و«حبيب السير» قد ذكرا أن ناصر خسرو سمع بسيرة الإسماعيلية الطيبة فذهب إلى مصر ولكنه لم يذكر ذلك فى سياحتنامه(٢).

وقد أكد حالى على علاقة ناصر خسرو وبصفة خاصة المستنصر بالله الفاطمى وله قصيدة يفهم منها أنه كان يتوق لرؤيته وأنه سافر لهذا الغرض علاوة على أن ناصر خسر وكان متبرمًا من علماء عصره ولم يكن يتوقع منهم أن ينصفوه ويحترموا علمه ولذا لاذ بالمستنصر وبث إليه همومه، ولم يكن الهدف من سفر ناصر خسر والحصول على المال والجاه وقد مدح ناصر خسرو والمستنصر بالله فى قصيدة ووصفه بالصدق والعدل وأنه إمام واجب الطاعة(٣).

وبعد عودة ناصر خسرو إلى خراسان رماه الناس بالكفر واتهموه بالإلحاد والزندقة وتعقبوه فهرب إلى كوهستان فى بدخشان، وهناك رواية تقول أنه بعد أن عاد إلى وطنه ذهب إلى بغداد وجيلان للبحث فى المذاهب مع العلماء وتشرف بصحبة الشيخ أبو الحسن الخرقانى وبايعه وقضى حينًا من الدهر فى خدمته، إلا أن حالى يرفض هذه الرواية لأنه ليس هناك ما يثبت ذلك. وهناك اختلاف شديد حول تحديد مذهب ناصر خسرو، فيقرر رضا قلى خان فى «مجمع الفصحاء» أن مذهبه الصحيح هو الاثنى عشرية إلا أن

---

(١) حالى: المرجع السابق ص٥-٧.

(٢) حالى: سفرنامه حكيم ناصر خسرو ص٩.

(٣) حالى: المرجع السابق ص١٠-١٢.

حالى يرفض هذا الرأى وأنه محض خيال وأن شارلز شيفر نقل عدة أبيات لناصر خسرو فى ترجمته الفرنسية توضح انكاره لحشر الجسد وقد علق المحقق الطوسى عليها بقوله أن ناصر خسرو لا يعتبر فى عداد المؤمنين الصادقين. واختلف المؤرخون فى تحديد سنة وفاة ناصر خسرو فيرى دولتشاه السمرقندى أنه توفى عام ٤٣١ هـ، غير أن سياحتنامه تكذب ذلك لأنه فى هذا التاريخ لم يكن قرر السفر، ويقول توماس وليم بيل فى «مفتاح التواريخ» أن سنة وفاته ٤٤١ هـ ولكن هذه الرواية خاطئة كسابقتها لأن هذا يعنى أن عمره فى ذلك الوقت ٤٧ سنة مع أن له قصيدة كتبها وهو فى الثانية والستين من عمره(١).

ويقول صاحب «حبيب السير» أن عمر ناصر خسرو مائة عام طبقًا لرأى صاحب «تاريخ گزيده» وكذلك يذكر صاحب «مجمع الفصحاء» أنه عاش مائة وأربعين عامًا» ومات عام ٥٣٤ هـ وأنه التقى بالشيخ الرئيس أبو على سينا وأبو نصر الفارابى، ويرفض حالى هذه الآراء ويقول أن أصدق هذه الأقوال قول حاجى خليفة فى «تقويم التواريخ» حيث ذكر أن وفاته كانت عام ٤٨١ هـ وعمره ٨٧ عامًا، ومن شعره «روشنائى نامه» ونثره «كنز الحقائق». ويرى حالى أن من مؤلفاته علاوة على هذا كتاب «الندامة فى زاد القيامة» باللغة العربية ويذكر شيفر فى كتابه عن حياة ناصر خسرو أنه فى هذا الكتاب يظهر ندمه وخطأه، وله أيضًا «سلم السموات» و«سعادت نامه» و«مستولى» فى الفقه، و«زاد المسافرين» فى المعقولات و«قانون أعظم» و«دستور أعظم» وتفسير القرآن علاوة على «سفر نامه»(٢).

٩ - تذكرة رحمانية: (حياة الشيخ عبد الرحمن پانى پتى)

ألف حالى هذا الكتاب عام ١٨٩٦م وتحدث فيه عن حياة استاذه الشيخ عبد الرحمن پانى پتى وعن علمه وفضله وقد تلقى حالى علوم الحديث على يديه وكان شيخًا عالمًا راسخ العقيدة وتاثر حالى به، وبعد وفاته عام ١٨٩٦م حزن حالى عليه حزنًا شديداً ويقول حالى عن الشيخ عبد الرحمن أنه لم يخش لومه لائم فى أمور دينه ودخل معترك الحياة فكان يقوم بوعظ المسلمين فى كل مكان وظل على هذه الطريقة حتى مات ولم يكن يفضل حياة الخلوه.

---

(١) حالى: المرجع السابق ص١٣-١٩.

(٢) حالى: المرجع السابق ص٢٢-٢٤.

خصائص أسلوب حالى

كان حالى شاعراً مجيداً تصل شاعريته إلى حد الكمال فى الوضوح والبساطة والصدق فى الأسلوب واللغة لذلك استطاع أن ينجح ككاتب نثر بارع بقدر شهرته فى نظم الشعر، وترك لنا حالى ثروة أدبية ثمينة فى مجال النثر والشعر، ولا تقل مكانته فى كتابة النثر الأردى عن نظيرها فى نظم الشعر.

ويعرف المثقفون حالى فى الأدب الأردى الحديث بأنه كتب «مقدمة شعر وشاعرى» ومهد الطريق لظهور الشعر الجديد وألف فى التراجم «حيات سعدى» و«يادگار غالب» و«حيات جاويد» غير أن هذا اللون من الإبداع الأدبى ظهر لنا بعد مقابلة حالى للسير سيد وفى مرحلة نضوج أسلوب حالى النثرى الذى ظهر جليًا بعد ذلك بتأثير من حركة على گرﻫ، لكن قبل هذه المقابلة مع السير سيد كان اهتمام حالى ينحصر فى مجال الإصلاح الأخلاقى والمناظرات الدينية ويسير فى ذلك على نهج القدماء وأساليبهم. ولا يعتبر حالى فى هذه الفترة الزمنية منفصلاً عن الحياة الفكرية فى عصره، حيث كانت موضوعات النثر محدودة للغاية فى كتابة الكتب الدينية والقصص وكانت مؤلفات هذا العصر مليئة بالمبالغة علاوة على النزعة الدينية المسيطرة على أسلوب كتابتها وكان كتاب النثر يهتمون بالمحسنات البديعية والصنعة اللفظية باستثناء بعض هذه المؤلفات غير أن أسلوب حالى كان خاليًا من هذه العيوب وتتغلب عليه النزعة الإصلاحية والدينية وكانت المؤلفات فى ذلك العصر تهتم بالجانب العقيدى والعاطفة الدينية إلا أن ذلك كان يقل فى مؤلفات حالى فى تلك الفترة ولم يكن أسلوب معقداً يحول دون توصيل الفكرة بسهولة إلى المتلقى، ومع ذلك كان من الطبيعى أن يتأثر حالى بعصره وأسلوب النثر فى هذا العصر(١)، ولم تكن هناك أى محاولات جديرة بالاهتمام فى هذا الوقت لبيان النظريات العلمية فى النثر الأردى، وعندما تكون هناك حاجة ماسة إلى كتابة الأفكار العلمية فإنهم يختارون اللغة الفارسية لأداء هذه المهمة وكانت لغة متقدمة بالمقارنة باللغة الأردية، وعلى الرغم من أن مؤلفات حالى كتبت بعد ثورة ١٨٥٧م لكم الطريق لم يكن قد ظهرت معالمه بعد أمام حالى حتى التقى بالسير سيد وبدأت مؤلفاته

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ٩٧، ٩٨.

(٢) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه ص٧٥.

تتجه وجهة أخرى ومثل أمامه ميدان الموضوعات العلمية الرَّحْبة بعد أن كان نثره يدور فى دائرة ضيقة من الموضوعات من قبل، وعندما أصدر السير سيد مجلة « تهذيب الأخلاق » لنشر أهدافه الإصلاحية ازدهر النثر الأردى وصار مؤهلا لأداء الأفكار العلمية والموضوعات الأدبية على السواء وحلت اللغة الأردية محل اللغة الفارسية(١).

ويقول حسن قادرى: كان حالى عنصراً هامًا من عناصر الأدب الأردى الخمسة(٢) والذى بدونه لا يكتمل مزاج الأدب الأردى الصحيح ففى غضون فترة لا تتجاوز أربعين عامًا أسس حالى ورفاقه الأدب الأردى وبدون هذه الجهود لا تستطيع أى لغة تتطور أو يوجد نماذج أولية لهذه اللغة فأبدع السير سيد سيد فى مجال المقالات الأدبية وآزاد فى مجال التاريخ والتذاكر ونذير أحمد فى مجال القصة ولم يكن أحد كتب فى التراجم والسيرة فكان حالى أول كاتب للسيرة الذاتية كما ألف كتاب الأردية الأول فى نقد الشعر وكان لشبلى أعمال عظيمة فى السيرة النبوية والنقد وكانت « حيات سعدى » أول كتاب فى السيرة قائمًا على أساس علمى(٣).

وقد اختار حالى موضوعين خاصين به فى مجال كتابة النثر وهما النقد الأدبى وكتابة التراجم ووضح فيهما وجهة نظر المؤرخ والناقد، وهناك عدة أسباب لشهرة أسلوب حالى وهى: ١ - **يستخدم حالى فى أسلوبه ذخيرة هائلة من الألفاظ الهندية**: كان لنجاح أسلوب حالى وشهرته عامل هام وهو استخدامه ذخيرة هائلة من الألفاظ الهندية وكان حالى عالمًا برقة وجمال الألفاظ الهندية حتى استعملها بدقة فى نثرة ويقول: مولوى عبد الحق: لقد أدخل حالى كثيراً من الألفاظ والمفردات الهندية فى الأدب الأردى والتى كانت بعيدة عن أنظارنا والتى نستعملها حتى اليوم ولا يوجد أديب أو شاعر أردى فضلاً عن الأدباء والشعراء الهنود إلا واستعملها فى مؤلفاته، وكان حالى يستخدم الألفاظ الصحيحة فى موضعها والتى تبث الروح فى الكلام فتنهض الألفاظ لتتحدث بنفسها ويستمر خفقان قلب الكاتب وهذا هو ذروة الكمال بالنسبة للأدب وبعض من خدمات حالى « ويمتاز أسلوب حالى كذلك بوجود آلاف من الألفاظ المتروكة والتى لا تستعمل ويعتبرها الأديب والشاعر بوجه عام الفاظًا سوقية وعامية غير جديرة بالاهتمام،

---

(١) صالحة عابد حسين. يادگار حالى صـ١٧٠، ٢٧١.

(٢) العناصر الخمسة هم: السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) وشبلى (ت ١٩١٤م) ونذير أحمد (ت ١٩١٢م) ومحمد حسين آزاد (ت ١٩١٠م) وحالى (ت ١٩١٤م).

(٣) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه، صـ٧٠، ٧١.

غير أن حالى استعمل هذه الكلمات فى موضعها وأظهرها بطريقة جميلة وسليمة مثل ترصيع الفصوص فى الخاتم، وعن طريق حالى أخذت هذه الألفاظ مكانتها فى الأدب الأردى، وأراد حالى أن يضاعف من خزينة الكلمات المستخدمة فى اللغة الأردية وهو يعلم أن اللغة الأردية تحوى آلاف الألفاظ من اللغات الأخرى والتى صارت بعد امتزاجها بها جزء لا يتجزأ من كيانها مثلما تستخدم ألفاظ اللغات المحلية الأخرى ببساطة فى اللغة الأردية.

٢ - **يستخدم حالى فى أسلوبه كثيراً من المفردات الإنجليزية**: استخدم حالى فى أسلوب كتابته كثيراً من الألفاظ الانجليزية(١) التى كانت شائعة فى عصره ويستخدمها من يعرف الانجليزية أو من لا يعرفها فى حياته اليومية وقد دخلت هذه الألفاظ فى الأدب الأردى بتأثير من التعليم الانجليزى الذى فرضه الانجليز على سكان الهند ونجد هذه الكلمات أكثر استخداماً فى أوساط المثقفين وعلى رأسهم السير سيد ووفاقه وأنصار حركة على گرط هـ، واستخدم حالى فى نثره هذه الكلمات على الرغم من عدم معرفته باللغة الانجليزية كما ذكر ذلك فى ترجمته الذاتية(٢) وأدى جهل حالى باللغة الانجليزية إلى استخدام مفرداتها فى غير موضعها وبطريقة خاطئة كما حاول أن يطبق قواعد اللغة الأردية على هذه الألفاظ مثل «اسكالرشب» يجمعها حالى على «اسكالرشبون» واستخدم حالى هذه الألفاظ بكثرة فى نثره كما يستخدمها السيرسيد فى مقالاته فى مجلة «تهذيب الأخلاق» ومن هذه الألفاظ: پولتيكل، آرگن، هسترى، فيكلتى، كالج اسٹيت، بريسنس ط، ايد ط رس، ديپوٹيشن، سلف هلب، واستعمل حالى الألفاظ غير المستعملة فى اللغة الانجليزية مثل فوند ط يشن، انسو ط ٹيوشن ط دپارتمنت(٣) وغيرها من الألفاظ التى لم تكن مفهومة فى ذلك الوقت ولكن حالى استخدمها ليظهر قدرته الثقافية العالية على الرغم من وجود مترادفات كثيرة لهذه الكلمات فى اللغة الأردية، كما نلاحظ أن هذه المفردات الانجليزية كانت تستعمل فى مجال التعليم والثقافة أو الوظائف الحكومية وألقاب الحكام الانجليز، أو فى مجال الأدب وتوضح هذه الألفاظ مدى تأثر اللغة الأردية فى ذلك الوقت بألفاظ اللغة الانجليزية وخاصة الألفاظ الحضارية منها، على أننا كما سنرى فى كتاب حالى «مقدمة شعر وشاعرى» أنه يستخدم كثيراً

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ٢٧٦، ٢٧٧.

(٢) حالى: ترجمة حالى: صـ٣٣٥.

(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٢٩٤، ٢٩٥.

من الألفاظ الانجليزية فى الشعر والنقد مثل بؤيترى ونيچرى ونيچرل وغيرها من الألفاظ التى سنتعرض لها عند دراستنا لهذا الكتاب فى الباب الثالث. واستعمال حالى لهذه الألفاظ الانجليزية الكثيرة فى أسلوبه يختلف عن استعماله لألفاظ اللغة الهندية ومفرداتها لأن هناك توافقًا فطريًا بين الأردية والهندية فهما أختان تربيتا فى حضن أم واحدة وإذا كان الكاتب واقفًا بهما عارفًا لهما يستطيع بطريقة جيدة أن يستخدم الفاظ أحدهما فى الأخرى بدون أن يظهر أى خلل فى سياق العبارة، ولكن حالى كان يجهل من البداية اللغة الانجليزية التى تعتبر لغة أجنبية على الهند وليس لها صلة قرابة بالأردية مثل الهندية، وفى خلال المائة عام الماضية ومنذ فشل الثورة بدأت تدخل مئات الألفاظ والمفردات الانجليزية فى اللغة الأردية، إلا أن حالى استعمل هذه الألفاظ فى نثره بطريقة خاطئة وغير مناسبة أو ضرورية فى بعض الأحيان. وتقول صالحة عابد حسين[١]: «ربما كان تفكير حالى هو الاستفادة من ألفاظ اللغة الإنجليزية بقدر الإمكان مثلما تستعمل مئات المفردات الهندية وآلاف المفردات الفارسية والتركية والعربية فى اللغة الأردية، فكان تفكير حالى صائبًا إلى حد ما فقد استفادت اللغة الأردية فى كثير من المواضع بهذه المفردات خاصة اسماء الأشياء الأجنبية ومتعلقاتها والتى دخلت إلى الهند مصاحبة للحكومة الانجليزية، ولا تستطيع الأردية أن تأخذ من اللغة الانجليزية أكثر من ذلك».

٣ - المميزات العامة فى أسلوب حالى والتى اتفق عليها النقاد ومؤرخو الأدب الأردى:-

يمتاز اسلوب نثر حالى بالقوة والاستدلال ويمتزج فيه السلاسة بالاعتدال والتوازن بلغة سلسة لا تضل المخيلة الطريق بقراءتها ولا تتعثر ملكات التفكير أمام عباراتها فلم يكن هدف حالى اللعب بالألفاظ ليصنع بمساعدتها طلسما يستهوى العقل ويسحر اللب ويأثره، بل كان أسلوب حالى يدعو القراء للتفكير بقلب يقظ وعين مفتوحة ليروا النتائج التى يعرض لها[٢].

ويقول المستشرق: جراهام بيلى Graham Bailey الذى قضى جزءًا كبيرًا من عمره فى دراسة اللغة الأردية - فى كتابه «تاريخ الأدب الأردى -Ahistary of Urduletera ture" عن «أسلوب حالى أنه عار من الزينة، ومل إلى حد ما إلا أنه مستقيم ورصين كما

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٧٧.

(٢) صالحة عابد حسين: المرجع السابق صـ٢٧٣.

يتجلى هذا من كتابته فى موضوعات علمية، وهو جيد حقًا فى الأحايين، إلا أن خروجه عن الصيغ لا تعجب القارىء»[١].

ويقول الشيخ چاند الذى درس نثر حالى بعمق وكتب فيه كتابًا جامعًا: إن نثر حالى قوى جاد وموزون ويقدم ما فى ضميره بأسلوب مؤثر بحيث لا يجد القارئ والمتلقى صعوبة فى فهم أفكاره ويستطيع أن يصاحبه فى خياله الملحق بلا نصب ولم يقع حالى فريسة للثرثرة والتصنع فى غير محله بل أن أفكاره تابعة لألفاظه ومن هنا نرى أن **أسلوب حالى لم يكن أدبيًا انشائيًا فحسب بل كان علميًا** ونقديًا[٢].

ويقول مهدى أفادى الناقد المعروف: إذا استطاع أحد أن يمسك القلم بعد السيرسيد أحمد خان فهو حالى «ويعترف الدكتور عابد حسين بجمال أسلوب حالى فيقول: لا يقل نثر حالى فى طابعه عن شعره فنجد فيه العظمة والبساطة والنضج وأسلوبه بسيط وبالرغم من هذا لم يتخل حالى فى أسلوبه عن الوقار والعفة بجانب القوة العلمية». ويقول آل أحمد سرور: كان حالى صاحب أسلوب متميز ويتميز بالحيوية عن باقى رفاقه وأصدقائه» والحقيقة إن أسلوب حالى كان حيًا وراسخًا ومثل هذا الأسلوب تكون الحياة الخالدة من نصيبه[٣].

ويقول الدكتور عبد القيوم: يتميز أسلوب حالى بالصفاء والقوة والبساطة فى استخدام التشبيهات والأمثلة العربية والأعجمية وقرب ألفاظ اللغة من أفهام العوام وقرب المعنى من النفس بدون أى صعوبة واختراع التعبيرات وتوليد التراكيب الجديدة فى نثره ومؤلفاته خالية من إثبات الذات والأنانية ويظهر فيها تواضعه الشديد»[٤].

ويقول كليم الدين أحمد: أحد نقاد الأدب الأردى «يتميز نثر حالى وأسلوبه بالصفاء والتنوع والجاذبية والدقة فى تناول الموضوعات النقدية «ويقول الدكتور سيد شاه على بصدد أسلوب حالى: إن أسلوب حالى يتميز بالحيوية والصفاء والنضارة كما يبدو فى كتاب (حيات جاويد و«يادگار غالب» ويبدو فيه متأثرًا بطريقة السير سيد الوعظية والإصلاحية، وعلى الرغم من وجود بعض الكلمات الانجليزية فى أسلوبه إلا أنه

(١) جراهام بيلى: الأدب الإسلامى فى شبة القارة الهندية الباكستانية. ترجمة حسين مجيب المصرى ص١٥٤.

(٢) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٦٧، ٦٩.

(٣) صالحة عابد حسين. يادگار حالى صـ٢٧٥.

(٤) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى صـ٢٩١.

متأثر باللغة العربية وأسلوبها البسيط السلمى ولا أحد يستطيع أن ينكر أن أسلوب نثر حالى يتميز بالقوة والبساطة والعذوبة والوضوح وقام حالى بتطوير النثر الأردى الحديث الذى وضع أساسه السير سيد وقدم خدمات جليلة للغة الأردية»(١).

ويعتقد البعض أن أسلوب حالى مقلد لأسلوب كتابة السير سيد لكن هذا الاعتقاد خاطىء لأن حالى صاحب أسلوب متميز عن الكتاب الآخرين ويحاول الدكتور سيد عبد الله إثبات هذا الخطأ فيقول: «هناك أمر شائع أن أسلوب حالى هو تقليد لأسلوب السير سيد أحمد خان» ولكننا لا نستطيع أن نسلم بهذا الرأى، نعم أسلوب حالى يتشابه مع أسلوب كتابة السير سيد من بعض الوجوه ولكن أسلوب حالى يبقى مع ذلك متميزاً بعدة خصائص غير موجودة على الإطلاق فى أسلوب السير سيد، وهذه الخصائص تؤكد عدم صدق هذا الرأى وبمقارنة حالى برفقاء السير سيد الآخرين يتضح أن أسلوبهم يختلط فى كثير من الوجوه ويتشابه مع أسلوب **السير سيد فى حين يبقى هناك فرق كبير بين أسلوب** حالى والسير سيد فنجد ثلاثة خصائص فى أسلوب حالى موجودة فى أسلوب السير سيد مثل البساطة وعدم التكلف والاعتماد على المنطق وهذه الخصائص الثلاثة نجدها فى أساليب رفاق السير سيد، ولكن أسلوب حالى يبقى متميزاً عن أسلوب السير سيد، فأسلوب السير سيد بسيط وباهت وجاف أما أسلوب حالى على الرغم من بساطته إلا أنه يتميز بالرقة والصفاء كما يقل فى اسلوب حالى استخدام المنطق والغموض فى حين يتضح ذلك فى اسلوب السير سيد، ويستخدم حالى فى اسلوبه البراهين العقلية والأدلة ويتميز اسلوبه بالشاعرية المحلقة ولا يلتزم الحيطة فى تنقيح الفاظه، فى حين أن اسلوب السير سيد يتميز بالبداوة والخشونة والتنقيح اللفظى وبناء على هذه الاختلافات فى اسلوب كل من حالى والسير سيد يتضح مدى خطأ الرأى السابق فى أن اسلوب حالى يعتبر مقلداً لأسلوب السير سيد ويبدو من هذا أن حالى صاحب اسلوب خاص به لا يشاركه فيه أحد من أعضاء حركة على گرطه «وعبارات حالى غاية فى السلاسة والبساطة والقوة والمتانة ولكنها ليست مثل تنوع عبارات آزاد ولارقه أسلوب نذير أحمد، ويعد حالى من أعظم كتاب النثر الأردى واسلوب حالى يقرب المعنى إلى نفس القارىء وهو خال من المحسنات البديعية والصنعة اللفظية ولا يستخدمها فى غير موضعها وكان يتجنب السرد وتنميق العبارات ويتحاشى المحسنات الظاهرة ولهذا السبب فعباراته بسيطة وواضحة ويمتاز أسلوبه بالقوة والفصاحة، وعباراته

(١) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٦٨.

بالثراء ويعتبر حالى مؤسساً للنثر الأردى الحديث، وقد أحيا حالى أسلوب ميرزا غالب والسير سيد وتعتبر مؤلفاته من أفضل النماذج للأجيال القادمه(١).

حالى وفن كتابة التراجم:

هناك عدة تعريفات لفن كتابة التراجم منها أن التراجم «تاريخ مدون لحياة الأشخاص» و«فن ترجمة الحياة لشخص ما» و«الجنس الأدبى لقص ترجمان الأشخاص»(٢).

و«فن التراجم أحد فروع التاريخ، ويحدد دريدن Dryden هذا الفن بأنه «التاريخ الذاتى لحياة الأشخاص». وقد أصبح فن التراجم كشكل أدبى أكثر شعبية منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر وكان نادراً قبل هذا التاريخ، وفى الغالب فإن أى شكل من أشكال المادة المستعملة فى هذا الفن مناسبة لكاتب تراجم الأشخاص مثل: الموضوعات التى يكتبها أصحابها أنفسهم وبصفة خاصة اليوميات والخطابات والأرشيف الخاص به وذاكرة الكاتب والمعاصرين له علاوة على الصور والرسومات، ويمكن أن نجد جذور فن كتابة التراجم فى سير الملوك والأبطال وقصص الوصايا القديمة فى بلاد اليونان وسير ملاحم الأبطال والحكماء فى اسكندنافيا كما أن تعاليم رجال الدين تعتبر أحد فروع هذا الفن»(٣) وقد نال فن كتابة التراجم منزلة عظيمة فى آداب اللغات الكبرى فى العصر الحديث وقد تطور هذا الفن وزاد تأثيره باستخدام الأسلوب العلمى فى كتابته ومن الأمثلة على ذلك كتاب جونسن «حياة الشعراء الانجليز «١٧٧٩م وكتاب باسويل» «حياة صومائيل جونسن» ١٧٩١م.

ويقول الدكتور عبد القيوم: التراجم الآن ليست فقط هى ميلاد الإنسان والاسرة والتعليم وأمور الحياة المختلفة حتى الوفاة بل هى بيان للحالة النفسية والاجتماعية والأخلاقية والعادات والتقاليد الظاهرة والباطنة للأفراد حتى تصبح قصة لإقبال الحياة عليه وإدبارها، وهى تصوير دقيق للتطور الفكرى والميول والنزعات والمحاسن والعيوب حتى يتكون لدينا تصور واضح عن هؤلاء الأشخاص وقد انتهت الآن فكرة الإنسان الكامل مثال الشرف والشهامة وأصبح الإنسان نموذجًا للعناصر البشرية المختلفة من الخير

---

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو صـ٤٥٦.

(٢) مجدى وهبه: معجم مصطلحات الأدب. بيروت ١٩٧٤ صـ٦٢.

(3) J.A. Cuddon, Adictionary of literary terms. New York 1976. P. 79-81.

والشر وهو مخطىء ومعصوم من الخطأ فى وقت واحد، ولم تعد التراجم كمًا هائلاً من الأحداث بل أصبحت أحد الإبداعات الممتعة وتقدم فى قالب قصص روائى وتمتلىء بملامح الحياة وصورها المختلفة»[١].

وعلى الرغم من أن كتاب حالى «حيات سعدى» يعد أول ترجمة قائمة على أساس علمى فى الأدب الأردى إلا أن هناك كثيراً من النماذج فى العربية والفارسية والأردية قبلها نجد فيها النماذج الأولى لفن التراجم، وقد اختار حالى طريقة جديدة فى كتابة السيرة الذاتية والتى لم يخترها أحد قط من قبله فى الأدب الأردى واشتهرت هذه الطريقة حتى أصبحت نموذجًا يحتذى فى كتابة التراجم فى الأدب الأردى ويسير على منهجه كتاب التراجم، فلم يكتف حالى ببيان أحداث حياة البطل فقط، وذكر مناقبه بل يتناول بالنقد والتعليق جميع جوانب حياته الكاملة وسيرته وأخلاقه ويبين علاقته بعصره[٢].

ويقول الدكتور غلام مصطفى خان: لقد أوصل حالى فن كتابة التراجم إلى القمة، ولم يضف أحد آخر فى الأدب الأردى أى إضافات جديدة على الطريقة التى تركها حالى»[٣] **وسنتحدث فى الصفحات القادمة عن مؤلفات حالى فى فن التراجم.**

١ - حيات سعدى:

هو أول كتاب فى التراجم ألفه حالى عن حياة الشاعر العظيم سعدى الشيرازى وقد نشر عام ١٨٨٦م ولكن هناك اختلافًا شديداً فى تحديد سنة تاليفه لأن حالى لم يذكر ذلك فى ترجمته، يقول: «كتبت فى دهلى كتابًا فى حياة ومؤلفات الشاعر سعدى الشيرازى وطبع باسم «حيات سعدى» ونشر قبل ذلك فى عشر طبعات[٤] «ولذلك تعددت الآراء فى سنة تاليفه فيقول حامد حسن قادرى إن سنة تاليف هذا الكتاب هى ١٨٨٢م فى موضع من كتابه «داستان تاريخ اردو» ولكنه يعود ويذكر أن تاليف حالى لهذا الكتاب كان عام ١٨٨٤م[٥] فى موضع آخر، كما يذكر الشيخ محمد إسماعيل

---

(١) عبد القيوم: حالى اردونثرنگارى صـ١٠٤، ١٠٥.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٧٨.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا صـ١٨٢.

(٤) حالى: ترجمة حالى صـ٣٤٢.

(٥) حامد حسن قادرى: داستان تاريخ اردو. صـ٥٨٦، صـ٥٩٠.

پانی پتی أن حالی کتب هذا الکتاب غالبًا فی سنة ١٨٨٤م[١]، ویحدد الدکتور غلام مصطفی خان سنة ١٨٨٦م لتالیف کتاب «حیات سعدی» ویعتمد فی هذا التحدید علی قول شبلی النعمانی الذی تضمن خطابًا لمولوی سمیع الله[٢]. وکتب حالی بحثًا مفصلاً فی مقدمة «حیات سعدی» عن تطور فن التراجم والإطار العام الذی یدور فیه هذا الفن وأهدافه فیقول: لقد اهتم المؤرخون الأوربیون بتطویر هذا الفن (التراجم) بصفة خاصة منذ القرن السابع عشر واصطبغ هذا الفن بالطابع الفلسفی مثل التاریخ، وقد اهتمت التراجم فی العصر الحدیث بالدقة العلمیة وکتابتها والاعتماد علی المعلومات الصحیحة والاستنتاجات المنطقیة من سیر أحداثها ودراسة مؤلفات أبطالها وإظهار محاسن هذه المؤلفات وعیوبها وبهذه الطریقة کتبت المجلدات الضخمة فی حیاة الکثیر من الأشخاص والمشاهیر»[٣].

ویقول حالی: کتبت أولاً سیرة الشیخ سعدی ولم یکن هناك أدیب فی الهند أکثر شهرة منه وفی رأی الخاص أنه لم یصل إلی مرتبته شاعر آخر من شعراء الفارسیة[٤] «ویتضح من هذا الرأی أن حالی کان یفضل سعدی عن باقی شعراء إیران لأن حالی رأی فیه نفسه حیث کان سعدی مهتمًا بالجانب الأخلاقی والإصلاحی فی شعره ونثره، لذلك کان هدف حالی تقدیم سیرة سعدی حتی ینهض المسلمون من تأخرهم بتعالیم هذا المصلح العظیم، ویقول حالی إن الهدف من «السیرة هی أن تکون بمثابة السوط الذی یوقظ القوم من نوم الغفلة والتراخی وعندما یری القوم سیرة أسلافهم العظماء ویلمسون فضلهم فإن دماء الغیرة تجری فی عروقهم فینهضوا لیستعیدوا مجدهم المفقود مرة أخری وترسخ هذه الفکرة فی أذهانهم»[٥] وقد نجح حالی فی اختیار شخصیة سعدی لأول نموذج للترجمة العلمیة الجدیدة فی الأدب الأردی حیث کانت شهرة سعدی ذائعة الصیت فی الهند لقرون وکان کتاباه «گلستان وبوستان «مشهورین فی جمیع أنحاء الهند ولا یوجد مثقف فی الهند لم یسمع عن سعدی أو لم یقف علی قصصه وحکایاته ولم یثن علیها ولحیاة سعدی حکایات جدیدة تداولتها الألسنة وکانت

---

(١) شیخ محمد إسماعیل پانی پتی: تذکرة حالی صـ١١١، ١١٢.

(٢) غلام مصطفی خان: حالی کا ذهنی ارتقا صـ١٠٣.

(٣) حالی: حیات سعدی صـ٦.

(٤) حالی: حیات سعدی صـ٧.

(٥) حالی: حیات سعدی صـ٨.

أشعاره مضربًا للأمثال وبالرغم من هذا لم تكن حياة سعدى الشخصية معروفة بشكل عام وانتشرت الأخبار المنحولة عن حياته فقام حالى بكتابة سيرته الصحيحة وعرف أهل الهند بها وكان حالى يكن حبا عميقًا لشخصية سعدى ولأشعاره وخاصة الإصلاحية والأخلاقية وتأثر حالى بها وهناك دلائل كثيرة على تأثره بشعر سعدى ولذا أطلق الناس عليه لقب «سعدى الهند»[١] وقسم حالى كتاب «حيات سعدى» إلى قسمين، القسم الأول يتعلق بحياة الشيخ سعديالشيرازى المتوفى (٦٩١ هـ) ويذكر حالى فى هذا القسم وقائع طفولة سعدى وشبابه بأسلوب غاية فى القوة والمتعة وألقى الضوء على مختلف أدوار حياته[٢]. ويذكر حالى وصفًا دقيقًا لشيراز وفارس وأسفار سعدى العديدة وعودته مرة أخرى إلى إيران ووفاته فى بلدته شيراز وقد استفاد حالى من كتب التذاكر والمؤلفات التى تناولت حياة سعدى مثل نفحات الأنس، جواهر الأسرار، تاريخ جهان گشا، تاريخ وصاف، مجالس المؤمنين، تذكرة سودا، تذكرة قاسم، بالإضافة إلى مقدمة كليات سعدى[٣]. ويذكر حالى البيئة التى عاش فيها سعدى وأثرها فى حياته وتفكيره فيقول: لا شك أن للموقع الطبيعى للمدينة واعتدال مناخها وجمال مبانيها وأسلوب تفكير سكانها له أثره الواضح على حياة الأفراد ولهذا السبب تميز شعراء شيراز وعلماؤها بصفاء الطبع وقد مدح سعدى فى مقدمة كتابه «بوستان» جميع أهل شيراز[٤]. وفى القسم الثانى تناول حالى مؤلفات سعدى ومميزات أدبه وبحث فى خصائص شعره وقارن بينه وبين شعراء إيران الآخرين ووازن بين أشعارهما وأثبت تفوق أشعاره لجمالها وحسن صناعتها وذكر آراء النقاد المختلفة فى شعره وشبه أشعاره بأشعار شيكسبير ويفضل حالى القول بعد ذلك فى فنون شعره وخاصة الغزل والقصيدة ويقارن بين طريقة غزل سعدى وطريقة القدماء ويحدد مواطن الجدة فى غزلياته[٥]. ويذكر حالى الترجمات المختلفة لكتابيه «بوستان وگلستان» إلى اللغات الأخرى مثل ترجمة كلارك للبوستان إلى اللغة الانجليزية عام ١٨٧٩م وترجمة چندداس مهاجن لـ«گلستان» عام ١٨٨٨م[٦]. وقد نال هذان الكتابان أهمية خاصة فى نظام تعليم المسلمين فى الهند وإيران فترجم كتابه

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٨٠.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ١٠١.

(٤) حالى: حيات سعدى صـ١٣.

(٥) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر تگادى، صـ١٢٤، ١٢٥.

(٦) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ١٠٢.

«بوستان» إلى اللغة الأردية شعراً وقام بهذه الترجمة المعروفة بـ«بند نامه(*)» الأديب مظهر على خان، وقام مشير على أفسوس بترجمة «الگلستان» إلى الأردية باسم «باغ اردو» وقد نشرت هذه الترجمة كلية فورت وليم عام ١٨٠٢(١).

وقد أرسى حالى حجر الأساس لكتابة التراجم فى الأدب الأردى الحديث والقائمة على أساس علمى وقد قلده الكتاب الذين جاءوا من بعده وحتى الآن فإن نماذجه فى هذا الفن تعتبر أمثلة يحتذى بها ولم تضاف حتى الآن فى الأدب الأردى أى قواعد جديدة لهذا الفن(٢). ويقول رام بابوسكسينه: بهذا الكتاب (حياة سعدى) وجد حالى مكانة فى طليعة كتاب النثر الأردى ويبدو منه جيداً أسلوبه المميز ومقدرته الفائقة فى كتابة المتراجم»(٣).

٢ - يادگار غالب:

«سيرة ميرزا أسد الله غالب» وهو ثانى كتاب لحالى فى التراجم، وكان حالى يريد أن يؤلف كتاباً فى حياة أستاذه غالب أثناء إقامته فى دهلى وعمله فى المدرسة الانجلو عربية وقام فى ذلك الوقت بجمع مواد كتابه ولكنه لم يستطع أن يرتبها بسبب كثرة مشاغله وانهماكه فى إعداد كتاب «حيات جاويد» الذى كان حالى يأمل فى نشره قبل وفاة السير سيد لكن بالرغم من ذلك تمكن حالى من «كتابة كتاب عن حياة ميرزا غالب ويتضمن أيضًا بحثًا فى خصائص شعر غالب ومختارات من شعره ونثره الفارسى والأردى ونشر باسم «يادگار غالب»(٤) فى عام ١٨٩٧م(٥) بمطبعة نامى بريس كانبور

(*) بند نامه «أو» بند عطاء وهو كتاب صغير فى النصائح والمواعظ ترجم إلى التركية والعربية وشرح مراراً». (عبد الوهاب عزام: التصوف وفريد الدين العطار، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٤٥م ص: ٦٥).

(١) عبد القيوم: حالى كى اردونثر نگارى صـ١٢٥.

(٢) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوص مطالعه صـ٧٩، ٨٠.

(٣) رام بابوسكسينه تاريخ ادب اردو صـ٤٥٤.

(٤) حالى: ترجمة حالى صـ٣٤٢.

(٥) انظر إسماعيل پانى پتى فى «تذكرة حالى» صـ١١٤، وعبد القيوم: «حالى كى ارد ونثر نگارى صـ١٤٥ وحامد حسن قادرى «داستان تاريخ اردو» صـ٥٨٦، وخليل الرحمن داودى «مقدمته على كتاب يادگار غالب» صـ٤٣، وغلام مصطفى خان «حالى كا ذهنى ارتقا» صـ١٦٣ ولكنه ذكر فى صفحة ١٦٠ سنة الطبع هى ١٨٩٨م فى مطبعة نامى بريس كانبور فى ٤٣٨ صفحة وذكر رام بابو سكسينه فى كتابه «تاريخ ادب اردو» أن سنه الطبع هى ١٨٩٦م صـ٤٥٣.

ويقول حالى فى مقدمته «بالرغم من انهماكى فى انجاز عمل هام جداً (كتاب حيات جاويد) إلا أن اصرار الأصدقاء أجبرنى على تأخير هذا العمل الهام لعدة أيام، واستطعت فى فترة وجيزة ترتيب مذكرات حياة غالب التى جمعتها بصعوبة شديدة، فلم يعد الوقت مناسباً لترك هذا العمل أكثر من هذا»[١] «ويقول الأستاذ خليل عبد الرحمن داودى إن «يادگار غالب» يعد رد فعل لكتاب محمد حسين آزاد «آب حيات» والذى قام فيه آزاد بشرح مفصل ومبسط لحياة أستاذه إبراهيم ذوق وحاول فيه إثبات تفوق شعره على جميع شعراء الأردية وقارن بينه وبين ميرزا غالب لإثبات أستاذية ذوق فى الشعر الفارسى مثل غالب ولكنه انحاز بشكل واضح فى كتابه «آب حيات»[٢] إلى جانب أستاذه ذوق عندما كتب عنه فى ٦٥ صفحة بينما كتب عن غالب فى ٣٦ صفحة فقط ونشر آزاد كتابه «آب حيات» عام ١٨٨٠م وعندما قرأه حالى اضطرب وقرر أن يكتب كتاباً ضخماً فى سيرة أستاذه غالب وفى شرح أشعاره فكان كتابه «يادگار غالب»[٣].

وبقول حالى فى مقدمته «على الرغم من أنه لم يبد لميرزا غالب أى عمل عظيم فى حياته سوى شعره ونشره إلا أن له آخر هاماً وهو تسجيل الوقائع التاريخية فى آخر أيام الدولة المغولية (فى عهد بهاد رشاه ظفر فقد كان غالب أستاذاً لبهادر شاه ظفر وكان يقوم بمهمة إصلاح شعره خلفاً لأستاذه إبراهيم ذوق، وقد دون غالب وقائع عصره فى كتاب «مهرنيم روز» أى شمس الظهيرة) وفى اعتقادى -والكلام ما زال لحالى- أن الشعر والنثر الفارسى قد ماتا بموت غالب الذى قدم خدمات جليلة أيضاً للنثر والشعر الأردى ولم تكن أشعار أسمى من فهم أهل عصره بل كان ينظم أشعاره طبقاً لما تمليه عليه قريحته»[٤] ثم يقول حالى إن الهدف الأصلى من تاليف «يادگار غالب» هو: إظهار ملكة شاعريته العجيبة للناس والتى أودعها الله فى فطره غالب وقريحته والتى أحياناً تبدو فى شكل الشعر والنثر أو الفكاهة والسخرية وأحياناً تبدو فى صورة المغازلة ومعاقرة الخمر وأحياناً أخرى تظهر فى أسلوب التصوف وحب أهل البيت وأى شىء خارج عن هذه الأسباب الأربعة يعتبر خارجاً عن موضوع هذا الكتاب»[٥]. ويقول

(١) حالى: يادگار غالب صـ٤.

(٢) محمد حسين آزاد: آب حيات صـ٣٩٥.

(٣) خليل الرحمن داودى: مقدمته على يادگار غالب ص٣٤.

(٤) حالى: يادگار غالب صـ٤٢٣.

(٥) حالى: يادگار غالب صـ٩، ١٠.

حالى «على الرغم من أن حياة غالب لا تخلو من الفوائد التى يجب أن نخرج بها من دراسة أحد التراجم لكن إذا تغاضينا عن هذه الفوائد فإن الحيوية والنضارة فى بيان حياته تفيد فى كثير مجتمعنا الكئيب والمضمحل»(١) وكان حالى ينسى فى أى من أعماله مهمة الأدب الإصلاحية التى كانت دائماً فى مقدمة أعمال حالى. ويادگار غالب كما يقول حالى فى مقدمته ينقسم إلى قسمين يتناول حالى فى القسم الأول وقائع حياة ميرزا غالب وعاداته وتقاليده وأخلاقه وأفكاره مع ذكر نماذج من شعره فى المناسبات المختلفة وخاصة الأشعار التى تتعلق بوقائع حياته المختلفة وذكر طرائفه ونوادره والذى تبدو منها قوة مخيلته بوضح، وفى القسم الثانى يتناول خصائص شعر غالب ونثره الفارسى والأردى ويقيم دراسة منفصلة لكل فنونه وموضوعاته المختلفة ثم يقيم فى النهاية موازنة بين شعره وشعر شعراء إيران الكبار وفى نهاية هذا القسم بحث مختصر عن حياة غالب وأسلوب نثره وشعره والذى يعتبر خلاصة للكتاب»(٢).

وكان غالب أستاذاً لحالى وتأثر كثيراً بحياته وشخصيته وجمال شعره ورأى حالى ذوق عصره المنحط فاختار غالب وقارن بينه وبين شعارير عصره وعرف الناس بخصائص شعره ومنزلته الصحيحة وبهذا يهذب من ذوقهم الشعرى وكان العامة لا تستطيع أن تفهم أشعاره بسهولة باستثناء الخاصة لذلك قام حالى بشرح معان من مختارات شعر غالب ووضح معانيه الصعبة والمعقدة بشاعريته فضاعف من جمال أشعاره، وصور حالى شخصية غالب الجذابة والممتعة بحيث يتأثر بها كل من يقراها وتنشأ فى قلبه روح الحب والتقدير له تلقائيًا وكأنه فى بلاط ملك الشعراء وينعم بصحبته، وفى الجزء الثانى من كتابه يشرح حالى بالتفصيل دقائق شعر غالب ومذهبه الشعرى ومحسناته البديعية ودقة لغته وجدة أخيلته وكشف أسرار شعر غالب وتغييره للذوق الشعرى فى الهند(٣).

ويقول مولانا عبد الحق: لقد صور حالى بدقة وجمال ملامح حياة ميرزا غالب فى يقظته ونومه وحديثه وطعامه وضحكه وسفره وفكاهته بحيث يبدو وكأننا نجلس فى صحبته ونستمتع بعذب حديثه وبمحاسن شعره وقد عرضه حالى بطريقة جذابةبحيث تظهر معانيها الخفية للعوام والخواص، ويفضل هذا الكتاب قامت دراسات عديدة عن شخصية غالب وشعره فكتبت فيه مئات المقالات وعشرات المجلات وظهرت شروح

---

(١) حالى: يادگار غالب صـ٩، ١٠.

(٢) حالى: يادگار غالب صـ٩.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٨٣، ٢٨٤.

مختلفة لأشعاره وطبع ديوانه الأردى عشرات الطبعات وما زال وقد كتب حالى هذا الكتاب بعد أن انتهى من ترتيب ديوانه ومقدمة شعر وشاعرى والانتهاء من إعداد كتاب «حيات جاويد» وقد أكمل حالى فى كتاب «يادگار غالب» دراسته عن الشعر ونقده وشروط جيده من رديئه والتى كان قد بدأها فى نهاية كتابه «حيات سعدى» وذكرها بالتفصيل فى مقدمة شعر وشاعرى التى طبعها مع ديوانه كمقدمة له(١).

ويقول بعض النقاد والمعترضين إن حالى يرفع ممدوحه إلى عنان السماء ولكن هذا الرأى هو عكس الحقيقة لأنه يبدو من أسلوب حالى الاعتدال والعدل إلى حد كبير فعندما يشير إلى محاسن الممدوح لا ينسى أن يبين مساوئه، صحيح أن حالى لم يعرض ورقة اتهام للمساوىء البشرية وقام ببيان العلاقة التى كانت تربطه بغالب والمراسلات التى استمرت بينهما واعترف حالى فى كتابه «يادگار غالب» بسوء أدبه فى رده على أستاذه وعدم احترامه لكنه فى نفس الوقت عرض مساوىء غالب مثل تعصبه وعدم تمسكه بأحكام الدين فى الظاهر وشرح حالى مقولة «أنه كان تقيًا فى الباطن وعربيداً فى الظاهر» وأظهر حالى الجانب الشيق والفكاهى فى حياة غالب وأنعم عليه بلقب «حيوان ظريف» بدلاً من حيوان ناطق(٢).

ويقول الناقد آل أحمد سرور تعليقًا على كتاب «يادگار غالب»: لقد ظلت معرفة شعر غالب فى عصره محدودة بالخاصة لكن كان لكتاب حالى «يادگار غالب» الفضل فى تصوير عظمه غالب وتوصيلها لأفهام العوام وكان ما يمتاز به نقده هو الاعتدال فهو ليس عبد الرحمن بجنورى الذى يرفع غالب فى السماء أو لطيف(*) الذى يهبط به إلى الأرض ويتهمه بعدم التوافق وقد أشاد بذكر غالب جميع النقاد حتى أن الشيخ إكرام صاحب كتاب موج كوثر قرر أن أكثر نقد عادل لغالب يوجد فى كتاب حالى «يادگار غالب»(٣). ويشيد المؤرخ رام بابو سكسينة فى كتابه «تاريخ ادب اردو» بكتاب يادگار غالب فيقول: إنه أشهر مؤلفات حالى ولم يكتب فى هذا الموضوع أى كتاب أفضل منه، ومن مزايا هذا الكتاب أن مؤلفه حالى كان تلميذاً لميرزا غالب لذلك؛ فقد رأى بعينه

---

(١) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ١٦٣.

(٢) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٨٧، ٢٨٨.

(*) هو عبد الرحمن بجنورى الذى اعتبر «ديوان غالب» كتاب مقدس مثل القيدا عند الهندوس * الدكتور عبد اللطيف (عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ٢٠٠).

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ٢٨٤.

أكثر هذه الأحداث ويفهم معانى أشعاره الصعبة ويبين المناسبات التى ألقيت فيها هذه الأشعار مما يضاعف من جمال شعره وبهذا الكتاب أدى حالى حق التلمذة لأستاذه غالب كما يجب، مثلما فعل آزاد فعندما رتب ديوان أستاذه إبراهيم ذوق أصبح ذوق شاعر خالد الذكر، وكلاهما يعتبر من أقرب التلاميذ لأستاذه وأنجبهم ويعتبر كتاب «يادگار غالب» من الكتب النقدية الممتازة(١). وقبل حالى كانت هناك عدة كتب ألفت الضوء على أهمية شعر غالب مثل: «آب حيات» محمد حسين آزاد و«گلشن بے خار «لنواب شيفته» و«آثار الصناديد» للسرسيد أحمد خان ولكن هذه التذاكر تناولت غالب بصفة سطحية ولم تفض فى معانى شعره وفلسفته(٢).

٣ - حيات جاويد:

«الحياة الخالدة» وهو سيرة السير سيد أحمد خان، وثالث كتاب لحالى فى سلسة كتب التراجم وآخر كتاب له فى هذا الفن. وهو ترجمة صادقة لسيرة أحد عظماء القرن التاسع عشر وبحث دقيق لوقائع حياته المختلفة وذكر لعيوبه ومحاسنه وهو ليس سيرة أحد المصلحين فحسب بل قصة التغيرات الحضارية والسياسية والتعليمية فى شبه القارة الهندية فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر(٣).

ويقع هذا الكتاب فى ألف صفحة تقريبًا وهو نتيجة جهد حالى لسبع سنوات متواصلة وقد نشر فى سنة ١٩٠١ «وقد ظهرت فكرة كتابه سيرة السير سيد عندى فى ذلك الوقت عندما وضع السير سيد حجر الأساس لأعظم أعماله وهى مدرسة العلوم بعلى گرطه والتى تطورت سريعًا جدًا على الرغم من المعارضين لها وواكب هذه المدرسة أيضًا مقالات السيرسيد الممتعة فى مجلته «تهذيب الأخلاق» والتى لم يكن لها مثيل فى النثر الأردى من قبل، وعلى الرغم من أن السير سيد قضى معظم حياته فى أعمال للصالح العام لكن كان مثله كهلال أول ليلة الذى لا يراه أحد ولكن سرعان ما أصبحت «مدرسة العلوم» ومجلة «تهذيب الأخلاق» بجهوده منارتين تضيئان للجميع كالبدر وعلى الرغم من انتشار المعارضة فى الهند لأعمال السيرسيد إلا أن هناك جماعة من الناس تنظر بعين التقدير لأعمال السير سيد الإصلاحية وفى اعتقادى أن أهميتها ستزيد

(١) رام بابوسكسينه: تاريخ ادب ارد و صـ٤٥٥.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى صـ١٩٣.

ومحمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٨٠، ٨١.

(٣) عبد القيوم: حالى كى اردونثرنگارى صـ٢٠١.

يومًا بعد يوم»[١] ثم يقول حالى إنه من العجيب أن مثل هذه السيرة الجديرة بالفخر التى كان تدوينها واجبًا قوميًا على المسلمين جاءت أول فكرة لكتابتها من أحد الإنجليز وهو كرنل جراهام بكتابة «سيرة السير سيد» ونشره قبل وفاته بثلاثة عشرة سنة وبذلك ضاعت المبادرة من أيدى المسلمين فى هذا الموضوع الهام ويجب أن نشكره من قلوبنا فعلى الرغم من كونه أجنبيًا إلا عظم قائدنًا وكان أول من كتب سيرته، ولكن سيرة هذا الشخص العجيب لا تستطيع أن تحتمل وتؤدى فى كتيب مثل هذا ولذلك أشار كرتل جراهام فى أحد الصحف الإنجليزية بقوله: إننى لا أستطيع أن أدعى أن هذا الكتاب هو ترجمة كاملة لحياة السير سيد «وبذلك تهيأت الظروف لحالى لكتابة هذه السيرة لأنه كان يرى أن سيرة كرنل جراهام: "Life and Works of sir syed Ahmed" غير كاملة وهذا بشهادة جريهم نفسه[٢]. ويقول حالى «لقد كان هذا الأمل يراودنا من قبل (كتابة سيره السير سيد) والآن عمت الهند ضجة عارمة بعد وفاة السير سيد وبدأ الاهتمام يتزايد بتقدير أعماله والبحث والتحقيق فى وقائع حياته، وسيحاول العديد من الناس أن يكتبوا سيرته وستتغنى الهند بسيرة هذا البطل لقرون عديدة»[٣] وبالفعل كما قال حالى فقد قام منشىء سراج الدين أحمد بمحاولة كتابة سيرة السير سيد وبدأ بالفعل فى جمع المعلومات المختلفة عنها ولكنه لم يكملها وبذلك مهد كل من كرنل جريهم ومنشىء سراج الدين أحمد الطريق أمام حالى لكتابة السيرة الكاملة للسير سيد وأعماله ويقول حالى: «لقد تحمست لهذا العمل لأن سيرة السير سيد تعتبر مفيدة لقومه فهمت على ترك جميع الأعمال لا تفرغ لهذا العمل القومى ولذلك أقمت فى على گرﻫ لعدة شهور عام ١٨٩٤م لهذا الغرض حيث جميع الأسباب مهيئة لكتابه سيرة السير سيد وقد قمت بالإطلاع على مسودات منشى سراج الدين أحمد واستفدت منها»[٤] وقد اعتمد حالى فى تأليف هذا الكتاب على المعلومات الشخصية فقد نال شرف صداقة السير سيد قرابة خمسة وعشرين عامًا وكان من المقربين له واستطاع فى هذه السنوات الطويلة أن يطلع بدقة وعن قرب على أخلاق السير سيد وطريقة تفكيره، كما اعتمد على رسائله وعلى السيرة الفريدية بالإضافة إلى المعلومات التى جمعها منشىء سراج الدين واستفاد أيضًا بكتاب كرنل جراهام[٥] ويقول حالى: على الرغم من أن حياة السير سيد تعتبر

(١) حالى: حيات جاويد المقدمة صـ١٤، ١٥.

(٢، ٣) حالى: حيات جاويد المقدمه صـ١٤.

(٤) حالى: حيات جاويد المقدمة صـ١٥، ١٦.

(٥) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوص مطالعه صـ٨٨.

عملاً سهلاً وميسراً فى الظاهر لأن جميع أعماله كانت تطبع وتنشر منذ كان في السابعة والخمسين من عمره وإلى آخرحياته وقبل ذلك كانت وقائع حياته معروفة من المصادر المؤثوقة إلا أن كتابة سيرة حياته تعتبر عملا شاقًا لأن حياته مليئة بالأحداث والوقائع الهامة التى لا استطيع اختصارها كما لا أستطيع تفصيل كل واقعة»[١] ومع أن حالى كتب في التراجم كتابين قبل «حيات جاويد» وهما «حيات سعدى» و«يادگار غالب» إلا أنه اختار منهجا جديداً في هذا الكتاب حيث يقول: كنت أظهر في الكتابين اللذين قد كتبتهما من قبل بقدر الإمكان الجانب الحسن فيهما وفي إشعارهما ولم أتعرض لعللهما في مكان ما، ولكن مثل هذه السيرة الذاتية المطلية بالذهب والفضة ليس لها وزن أو اعتبار، لكن في حالة الكتابة عن هذه الشخصية (السير سيد) لا أستطيع أن أكتب حياة مثل هذا الشخص سراً وهو الذى قاوم الجهل والتعصب قرابة أربعين سنة واستأصل التقليد ووبخ كبار علماء التفسير واختلف مع الأئمة والمجتهدين وأظهر علل المجتمع لذا فهو من ناحية الدين مؤمن في نظر طائفة من الناس وكافر في نظر الأخرى ومن ناحية السياسة يعتبر قائد العصر عند جماعة وعند أخرى ليبرالى يؤمن بالتحرر»[٢] وقد واجه حالى مشاكل عديدة وصعوبات جمة في ترتيب كتابه «حيات جاويد» فكان مرضه يقلقه بالإضافة إلى مشاكله الأسرية وقد أقام بمفرده في على گرطهـ وظل ينجز هذا العمل رغم شيخوخته حوالى سبعة سنوات وكتب في أحد خطاباته يقول: لم تفتر همتى طيلة سبع سنوات ولم أهتم بأى عمل آخر سوى هذا العمل «وفي الحقيقة لا يوجد كتاب في السيرة (التراجم) في الأردية مثل هذا الكتاب الذى تم نتيجة جهد حالى الجهيد وبحثه المتواصل[٣].

ويقول حالى: إن هذا الكتاب مقسم إلى قسمين، أتناول في القسم الأول حياة السير سيد وأعماله منذ ميلاده حتي وفاته طبقا للترتيب الزمنى، والقسم الثانى بحث في حياته وأعماله مع الاهتمام بالدور البارز من حياته والذي يبدأ من وقت اندلاع الثورة واعتمدت في ذلك على كتابه «خطبات أحمدية» ومجلتى «تهذيب الأخلاق» و«مجلة معهد على گرطهـ» ورسائل السير سيد وبعض الأخبار أخذتها من أصدقائه أو

---

(١) حالى: حيات جاويد: المقدمة ص ١٦.

(٢) حالى: حيات جاويد. المقدمة ص ١٧، ١٨.

(٣) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا ص ١٦٩.

من التقارير الحكومية والجرائد الإنجليزية ومن المصادر الموثوق بها»[١].

وقد قام حالى بتمجيد أعمال السير سيد ولكنه أشار إشارة عابرة إلى عيوبه وتناول أعماله الشهيرة بالبحث مثل «خطبات أحمدية» و«أسباب بغاوت هند» إلى جانب تفسيره للقرآن والإنجيل والتوراة وقد اقتبس من كتبه وعلق عليها ونقدها بل ووازن بينها وبين الكتب الأخرى المشابهة لها كما ذكر آراء المشاهير فيه وفى أعماله الإصلاحية ومؤلفاته[٢].

وكان حالى يحب فى سيرة السير سيد هدفه السامى وخدماته الجليلة للوطن ويعتبر أن ما أداه السير سيد فى حق المسلمين طيلة حياته عملاً مجيداً وكان يريد أن يبين للناس بوضوح وصدق، خدمات السير سيد فضائله ليتعلموا منه العبرة ويتأسوا به فى خدمة مجتمعهم ولم يكن هدفه سرد مناقب السير سيد، وقد أدى حالى فى هذا الكتاب واجب الناقد والمؤرخ على أحسن وجه وعرض أعمال السير سيد من وجهة النظر الفلسفية[٣].

وقد اعترض شبلى النعمانى على كتاب «حيات جاويد» عندما قرأه، وقال أنه مدح مبرهن ومرآة للكذب والنفاق فقد كان شبلى من المعارضين للسير سيد لذلك هاجم السير سيد وحالى هجومًا شديداً، فيقول «إن حالى يبالغ فى مدح بطل هذه السيرة الذاتية (أى سيرة السير سيد أحمد خان) وهذا نابع من تعاطفه التام معه فلم يلتزم الموضوعية فى عرض سيرة حياته وأعماله ولم يتعد هذا الكتاب عن كونه تضخيم لصورة البطل والأعمال التى قام بها وطريقة تعامله من الأحداث العديدة التى مر بها فى تاريخ كفاحة الطويل، وقد قام حالى بإبراز الجوانب الطيبة فى سيرة حياته وتحاشى الحديث عن عيوبه وعن الأعمال التى لاقت معارضة شديدة من فئات عديدة ومن الاتجاهات المختلفة لمسلمى الهند»[٤].

وقد علل غلام مصطفى خان[٥] نقد شبلى النعمانى لكتاب حالى «حيات جاويد» وللسير سيد بأنه كان يصغرهما وقد بدأت أعماله العلمية متأخرة بالمقارنة بحالى والسير

---

(١) حالى: حيات جاويد المقدمة صـ١٨، ١٩.

(٢) حالى واكبر كاخصوصى مطالعه صـ٨٩.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٩١-٢٩٢.

(٤) شبلى النعمانى: باقيات شبلى جـ٢ صـ٧٧ (مجلس ترقى أدب، لاهور، ١٩٦٦).

(٥) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا صـ١٧٠-١٧١.

سيد لذلك انتقدهما انتقاداً شديداً. ونلاحظ هنا أن غلام مصطفى خان قد تهرب من الأسباب الحقيقية لنقد شلى بهذا السبب الساذج، فى حين رفضت صالحة عابد حسين أن يكون كتاب «حيات جاويد» مدحًا مبرهًا بسبب لا يقل سذاجة عن السبب الذى ذكره غلام مصطفى خان فتقول: إن من الطبيعى أن يقلل الإنسان من عيوب صديقه وصاحبه قليلاً ويبرز محاسنه كثيراً ولهذا كان جانب المدح للسير سيد فى كتاب «حيات جاويد» ضخمًا وكبيراً وليس هذا موضع تعجب[١]. ويتفق رام بابوسكسينه مع شبلى فى رأيه فيقول: يوجد فى كتاب «حيات جاويد» مبالغة فى مدح البطل «السير سيد» ولهذا فإن اعتراض شبلى ونقده لهذا الكتاب يعتبر فى موضعه تمامًا لأن حالى يوضح فى هذا الكتاب أحد الجوانب الشخصية للسير سيد فقط وهو الجانب الحسن ويتغاضى عن عيوبه ولا يعيرها أى اهتمام، ولكنه يعود ويثنى على الكتاب فيقول: إن هذا الكتاب هو أظم كتب حالى على الإطلاق وعن طريق نال الشهره وهو أحد الكتب المفصلة والجامعة وفيه يوضح مختلف مراحل حياة السير سيد الطويلة وقد حصل هذا الكتاب فى اللغة الأردية على نفس مكانة كتاب باسويل Boswell الشهير «حياة الدكتور جونس»(*) فى اللغة الإنجليزية وقد عرض حالى فى هذا الكتاب مختلف جوانب شخصية السير سيد المختلفة كقائد ورائد ومرشد ومدير وكاتب ووضح فى هذا الكتاب أيضًا وقائع حياة أكثر رفاق السير سيد[٢] ويقول آل أحمد سرور: لم يقدم حالى فى كتابه «حيات جاويد» السير سيد فقط بل قدم التاريخ الفكرى للمجتمع كله وقد أبدى حالى مهارة فائقة فى جمع وترتيب مواد الكتاب وكان يرى أن روح الإصلاح الدينى هى المحرك والحافز لجميع أعمال السير سيد ولذلك اهتم بخدمات السير سيد

---

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٢٩٢.

(*) قام توماس باسويل (١٧٤٠-١٧٩٥) Tomes Boswell عام ١٩٧١م بكتابة سيرة حياة صومائيل جونسون "SAMUELJOHNSON" ١٧٠٧-١٧٨٤م فى كتاب يحتوى على خمسمائة صفحة من القطع الكبير تحدث فيه عن حياة جونسن ومؤلفاته والقى الضوء على جميع جوانب حياته المتشعبة وقد نشر هذا الكتاب فى الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٢ باسم life of Samuel Johnson اى حياة صومائيل جونسون وكان جونسون شاعرًا انجليزيًا وناقدًا وكاتبًا للمقال ومصلحًا ومؤلفاته لغويًا ومن اهم كتبه الشعرية «لندن» ١٧٣٨ «وغرور التطلعات الإنسانية» عام ١٧٤٩م وقد ظل شعره حتى منتصف القرن الثامن عشر تقليدًا للسخرية الادبية.

- Tomes Boswell, life of Samuel Johnson, U.S.A. 1952 P.Vi, Vx.

- English Larouse. Paris: 1968. P. 620.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو، ص ٤٥٥.

لدينية، فالتأييد والمناصرة شيء ضروري في كتابة السيرة الذاتية وبدونها لا يستطيع كاتب التراجم أن يفهم حالة البطل النفسية بطريقة جيدة وهذا العامل متوافر عند حالي ولهذا يقال أن كتابه هو كتاب «المناقب» أو «المدح المدلل والمبرهن» والتصوير من جانب واحد، مع أن هذا هو حجر الزاوية في «كتابة التراجم». ولغة «حيات جاويد» وأسلوب كتابته سلسه للغاية وغير معقدة وتتسلسل في سهولة ويسر، وبلاغة حالي وفصاحته في كتاب حيات جاويد «تنساب كالد موع الغزيرة وكل لفظ بمثابة الفص المرصع الذي لا تستطيع نزعه من مكانه «وعلى الرغم من هذه المميزات التي نال بسببها كتاب «حيات جاويد» شهرة فائقة إلا أنها لم تكن بنفس شهرة كتب حالي الأخرى وسبب ذلك أن الناشرين وبائعي الكتب في الهند لم يهتموا به من أول يوم صدوره لأن اهتمامهم كان منصبًا على جمع المال من الكتب الأكثر مبيعًا، من أجل ذلك لم ينشر الكتاب بالقدر الذي كان حالي يتوقعه علاوة على أن ضخامة الكتاب كانت سببًا في عدم شهرته والناس في العصر الحديث تفضل الكتب المختصرة البسيطة(*)، كما كان انتشار سوء الفهم حول شخصية السير سيد سببًا هامًا في تجاهل هذا الكتاب(١) وبذلك يبقى لحالي مؤلف واحد هو «مقدمة شعر وشاعري وسوف اتناوله بالتفصيل في الباب الثاني.

(*) قام سليم اختر بتلخيص كتاب «حيات جاويد» في مائتي صفحة من القطع الصغير ونشره عام ١٩٧٩م في لاهور وقد اعتمدت على هذه النسخة.

(١) صالحة عابد حسين: يادگار حالي: صـ٢٩٣-٢٩٤.

ثانيًا: شعر حالى

ترك حالى ثروة شعرية ضخمة تنوعت فيها موضوعات الشعر، فنظم فى الموضوعات الأخلاقية والدينية والتعليمية والاجتماعية والقومية وفى الدفاع عن المرأة وشعر الأطفال وشعر المناسبات وفى المدح وشعر الطبيعة إلى جانب موضوعات الغزل، وتعددت الأجناس الأدبية والفنون الشعرية المختلفة بتنوع هذه الموضوعات وقد نظم حالى شعره فى معظم فنون الشعر الإردى مثل فن الغزل، القصيدة، والقطعة، والمثنوى، والرباعى، وتركيب بند، وترجيع بند والمخمس والمسدس، والرثاء ودوبيت وغيرها. وقد قام حالى بالتجديد فى موضوعات الشعر الأردى واحدث تغييرات هائلة فى الشكل والمضون ومن ثم يعتبر رائد للشعر الجديد، وتأثر حالى بأستاذه ميرزا غالب كما استفاد كثيراً من مصطفى خان شيفته لأنه «يكره المبالغة فى الشعر وكان يعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة مع الالتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية الدنيئة والعبارات العاميةوهذا ما كان ينفر منه غالب «وقد ظل حالى ينظم أشعاره وخاصة وشعر الغزل على الطريقة القديمة حتى التقى بالسير سيد أحمد خان عام ١٨٧١م فحدث تغير هائل فى شعر حالى وبدأ ينظم الشعر الهادف أن وجهه السير سيد إلى ذلك بقوله: «إنه من المفيد لو وضحت بالشعر حالة ضعف المسلمين وتأخرهم فى الوقت الحالى»[١] لذلك نظم حالى مسدس «مد وجزر إسلام» ولم يكن «أحد قد نظم شعراً من أجل إيقاظ المسلمين وتنبيههم»[٢] وبذلك خرج حالى عن نطاق الشعر التقليدى القديم وجعل شعره أداة لإصلاح قومه وكان من أنصار نظرية «الفن للمجتمع» التى كانت على النقيض من نظرية «الفن للفن»[*] التى تهتم بجماليات الشعر وعناصر

---

(١) حالى: ترجمة حالى ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٢) حالى: مسدس حالى ص ٤.

(*) ظهرت «الفنية» (أو الفن للفن) كرد فعل للرومانتيكية وكان رائدها الشاعر الوصاف تيوفيل جوتيه صاحب الديوان المعاوف باسم «مينات وزهريات» ويرى أنصار هذا المذهب أن الشعر فن جميل ولذلك يجب أن يكون غاية فى ذاته فلا يستخدم كوسيلة للتعبير عن المشاعر الخاصة. بل يعمل لخلق صور وأخيلة وإحساسات جميلة فى ذاتها وهذا هو ما يقصدون إليه من عبارة «الفن للفن».

أما «نظرية الفن للجميع» «فهى على النقيض من «نظرية الفن للفن» حيث يرى أنصار هذا المذهب أنه يجب توظيف الفن لخدمة المجتمع والبيئة والنهوض بالإنسان، كما أنهم لا ينكرن تماماً القيم الجمالية للفن (محمد مندور: فى الأدب والنقد ص ١٤٠ دار نهضة مصر - ١٩٧٨م).

المتعة والتشويق فيه واستخدامه كنوع من التسلية والتفكة دون النظر إلى الفائدة المرجوة منه. وقد وضح حالى ذلك فى مقدمة مسدسه حين قال: أهل الذوق فى بلدنا لا يفضلون هذا النوع الجاف والبسيط من الشعر لأن فيه ترجمة لبعض الأحداث والآيات والوقائع التاريخية ويصور حالة القوم الراهنة تصويراً صادقًا ليس فيه دقة الخيال ولا تنوع البيان ولاعادة المبالغة والتكلف، المهم أنه شعر لا تأنس به آذانهم وليس فيه شيء عجيب، لكننى لم أنظم هذا الشعر (المسدس» من أجل التلذذ والاستحسان لكن من أجل أن يثير فى الأصدقاء وأهل الوطن نار الحمية والغيرة(١). وهكذا اتضح ميدان نظم الشعر أمام حالى وظل متمسكًا برأيه هذا حتى نهاية حياته. وفى عام ١٨٧٤م انظم حالى إلى الندوات الشعرية الجديدة التى أقيمت فى لاهور تحت إشراف «انجمن بنجاب» جمعية البنجاب وبإيعاز من كرنيل هالراید مدير التعليم فى البنجاب وأشرف على تنظيمها محمد حسين آزاد وبدأت أول ندوة فى ٨ مايو ١٨٧٤ واشترك فيها حالى وقد استمرت هذه الندوات الشعرية تعقد مرة كل شهر لمدة أحد عشر شهراً واشترك حالى فى أربع ندوات منهاو ونظم أربع قصائد فى قالب «المثنوى» وهى بالترتيب الأولى موسم المطر (بركهارت) أو (برسات) والثانية الأمل «اميد» والثالثة هى العدل «إنصاف» والرابعة فى حب الوطن «حب وطن» وتعتبر هذه الندوات نقطة تحول فى شعر حالى وبداية لاتجاه جديد فى نظم الشعر اشتهر به حالى وكان رائدا فى هذا المجال ومن أبرز رواد الحركة الشعرية الجديدة التى نشأت فى لاهور بتأثير من الأدب الإنجليزى وهى الفترة التى اطلع حالى فيها على الكتب الإنجليزية المترجمة فى الشعر والأدب والنقد، وقد تميزت الندوات الشعرية التى عقدت فى لاهور عن الندوات القديمة باختيار موضوع معين ينظمون الشعر حوله ويظهر كل شاعر براعته فى نظم الشعر فى هذا الموضوع بدلاً من تحديد مصرع من بيت شعر يلتزم به الشعراء وينظمون على قافيته ووزنه.

وقد نظم حالى قصائد كثيرة باللغة الفارسية وبعض القصائد باللغة العربية. وقد زاعت شهرة شعر حالى فترجم مسدسه إلى عدة لغات عالمية ومحلية، كما قام أحد الإنجليز ويدعى G.E. Ward(*) بترجمة بعض من قصائده ورباعياته إلى اللغة الإنجليزية كما ذكر ذلك رام بابو سكسينه(٢).

---

(١) حالى: مسدس حالى ص ٥.

(*) G. Eward, the Quartrains of Hali. P. 200 - 220 - Oxford, 1904.

(٢) رام بابو سكسينة: تاريخ أدب أردو. ص ٣٦٤.

وفيما يلى سأقوم بدراسة إحصائية لأشعار حالى المختلفة والتى قام بنظمها فى الفترة ما بين عامى ١٨٦٣ و ١٨١٤م وبعدها سأتناول أهم الفنون الشعرية التى نظم فيها حالى أشعاره.

* * *

قام حالى فى حياته بنشر مجموعتين فقط من أشعاره بالإضافة إلى المسدس «مسدس «مد وجزر إسلام» الذى نشر عام ١٨٧٩م، وهاتان المجموعتان هما:

١ - مجموعة نظم حالى ونشرها سنة ١٨٩٠م وتضم هذه المجموعة ١٤ قصيدة.

٢ - ديوان حالى: ونشره سنة ١٨٩٣م مع مقدمة شعر وشاعرى فى مطبعة الأنصارى بدهلى وتضم هذه الطبعة ٣٠ غزلية قديمة وتمتاز هذه الطبعة عن الطبعات التى جاءت بعدها بأنها تفصل بين الغزليات القديمة وتميزها بعلامة «ق» عن الغزليات الجديدة ورتبت الغزليات القديمة والجديدة طبقًا للرديف، وهذا الفصل بين الغزليات والجديدة يجعلنا نفهم بسهولة التطور الفنى والعقلى لحالى من خلال هذه الغزليات، وقد وقع بعض الباحثين فى خطأ حصر الغزليات القديمة ففى حين يذكر الدكتور شجاعت سنديلوى[١] أن الغزليات القديمة عددها ١٧ غزلية يذكر سعيد مرتضى حسين[٢] أن عددها ٢٠ أو ٢١ غزلية.

ويحتوى ديوان حالى على: ٦٧ قطعة، و١١٦ غزلية (٣٠ قديمة، ٨٦ جديدة)، ١٠٧ رباعيات (٧ قديمة و١٠٠ جديدة)، ٥ قطعات فى المدح والشكر، واثنين فى النعت واثنين فى المدح واثنين فى تركيب بند وقصيدتين غير كاملتين، وفى نهاية الديوان أشعار متفرقة ومجموعة من القطع التاريخية.

وقبل أن ينشر حالى هاتين المجموعتين قام بنشر ثلاث قصائد شهيرة منفردة وهى «مناجات بيوه» أى دعاء أرملة عام (١٨٨٤م)، ومثنوى «حقوق أولاد» حقوق الأولاد عام (١٨٨٨م) «وشكوة هند» شكوى الهند عام (١٨٨٨م) وطبع حالى كذلك عدة قصائد منفصلة ومتفرقة وهى «تحفة الأخوان» و«فلسفة ترقى» و«چپ كى داد» وغيرها[٣].

---

(١) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيت شاعر، ط١، لكهنو ١٩٦٠م ص ٨٩.

(٢) سيد مرتضى حسين: مقدمة مثنويات حالى، ص ٣.

(٣) افتخار صديقى: ص ٢٣ - ٢٧.

٣ – وفكر حالى فى أواخر حياته فى جميع شتات أشعاره المتفرقة والمتناثرة، وبدأ بالفعل فى ترتيب وتدوين «كليات نظم حالى» بالرغم من مرضه ومشاكله العائلية، وكان أو مجموعة رتبها هى مجموعة نظمه ونثره الفارسية والعربية تحت اسم «ضميمه اردو كليات نظم حالى» والتى نشرت فى أغسطس ١٩١٤ أى بعد وفاته بخمس أشهر فقط(١).

٤ – ظلت «قطعات حالى»، و«رباعيات حالى» تنشر على انفراد بعد وفاة حالى.

٥ – وفى سنة ١٩٢٢ قام الشيخ إسماعيل پانى پتى بنشر مجموعة باسم «جواهرات حالى» وتضم هذه المجموعة بعض القصائد التى لم تنشر لحالى من قبل.

٦ – وفى سنة ١٩٢٤م أخذ الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى على عاتقه مهمة جمع وترتيب كليات نظم حالى فى جزءين الأول والثانى ولكنه لم يتمكن من إكمال المجلد الثالث والرابع، ولم توفق أى جمعية أو إدارة فى نشر كليات نظم حالى على الرغم من أن حالى يعتبر من المؤسسين للأدب الأردى.

٧ – وفى سنة ١٩٣٥م قام الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى بنشر مجموعة كاملة من رباعيات حالى، الفارسية والأردية.

٨ – قام الدكتور شجاعت على سنديلوى بترتيب ونشر متثويات حالى عام ١٩٦٠ عن مكتبة «أنوار بكدپو» وقام الشيخ مبارك على بترتيب مجموعة من مثنويات حالى أيضًا وطبعها فى لاهور عام ١٩٦٦م وكتب سيد مرتضى حسين مقدمة مفصلة طبعت معها، وفى سنة ١٩٦٠م كان قد نشر فى دهلى عن المكتبة الحديثة «كليات حالى» وكتب مقدمتها الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى وهى غير كاملة(٢).

وقد جمعت جميع قصائد حالى ورتبت على الطريقة القديمة أى من حيث فنون الشعر وقد سار على هذه القواعد والأصول الشيخ محمد إسماعيل پانى پتى.

وفى سنة ١٩٦٨م نشرت الطبعة الأولى من «كليات نظم حالى» فى مجلدين وقام بترتيبها وجمعها الدكتور افتخار أحمد صديقى وقام بجمع أعمال حالى الشعرية فى هذين المجلدين ورتب القصائد طبقًا للموضوعات لكنه مع هذا اهتم بالعامل الزمنى فى

---

(١) محمد إسماعيل پانى پتى: مقدمة كتاب نظم حالى، ط. ص ٤.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٢٤ – ٢٥، ٣٢، ٣٥.

ترتيبه بقدر الإمكان.

شعر حالى الفارسى والعربى:

نظم حالى شعراً باللغة الفارسية والعربية إلى جانب أشعاره بالأردية ويقول حالى في ترجمته «يوجد لى مؤلفات نثرية وشعرية كثيرة باللغة الفارسية وقليل باللغة العربية»(١) وقام حالى بجمع هذه الأشعار باسم «ضميمه أرد وكليات نظم حالى» وقد نشرت فى أغسطس عام ١٩١٤م.

وقد بدأ حالى فى نظم الغزل الفارسى بشكل مستقل فى سنة ١٨٦٣م وله أشعار فارسية كثيرة تتكون من ١٩ غزلية و٢٠ رباعية و٤ قصائد و٧ مراثى و٦ قطعات و١٥ قطعة تاريخية وقد نظم حالى معظم غزلياته أثناء إقامته فى جهانگير آباد بصحبة مصطفى خان شيفته وتتميز لغة هذه الغزليات بالسلاسة والصفاء وتتوفر فيها جميع عناصر الغزل ويتفوق بها على غزليات عصره ويبدو فيها الإخلاص والبساطة بدلاً من المبالغة والتقليد ويتألق فى بعض غزليات حالى الخيال المحلق الرقيق وجمال الأسلوب الموجود فى غزليات غالب ونظيرى(٢) وتبدو براعة حالى ومقدرته أيضًا فى نظم المقطوعة الفارسية وقصة «بيت بحثى»(٣) والمراسلات الشعرية بين حالى وغالب خير شاهد على أسلوبه القوى وسمو عقله وذوقه، وقصائده الفارسية التى بدأها بقصيدة(٤) فى مدح نواب كلب على خان رئيس مصطفى آباد (رام پور) يبدو فيها الإخلاص والصدق بجانب العناصر الفنية للقصيدة وكان حالى قد نظم قصيدة فى مدحه قبلها بثلاث سنوات(٥) وهى نموذج للطراز الجديد فى القصيدة المدحية وكان حالى قد نظم هذه القصيدة باهتمام خاص وألقاها عام ١٨٧٧م فى البلاط القيصرى بمناسبة اجتماع رؤساء المدن فى دهلى. وقد قال حالى فى تعليقه على هذه القصيدة «لما تعرفت على نواب كلب على خان الذى كانت له المبادرة والسبق قبل الجميع فى مساندة السير سيد وكان لديه أمل كبير فى المشاركة فى اجتماع البلاط القيصرى لهذا فقد قررت أن أمدحه

---

(١) حالى: ترجمة حالى. ص ٣٤٣.

(٢) افتخار صديقى: مقدمة كليات نظم حالى جـ ١، ص ٧١.

(٣) ارجع إلى «يادگار حالى» صالحة عابد حسين، و«يادگار غالب» لحالى.

(٤) حالى: كليات نظم حالى: جـ ٢ من ص ٣٨١ حتى ٣٨٨.

(٥) حالى: المرجع السابق: جـ ١ ص ٢٦٥.

بهذه القصيدة»[١].

ويبدأ حالى هذه القصيدة بوصف صفات هذا الحاكم اليقظ وقد مدح حالى نواب كلب على خان بأوصافه الحقيقية البعيدة عن المبالغة وذكر علمه ورعايته للفن، والقصيدة بجزالة ألفاظها وجمال أسلوبها تعد من روائع الشعر الفارسى القديم وبالإضافة إلى قوة المعنى وجدة الخيال يقوم حالى بترصيع قصيدته مثل قا آنى[٢] ونظم حالى قصيدة أخرى فى تهنئة نواب آسمان جاه بهادر بعيد الفطر وثالثة لتهنئته بعيد الأضحى المبارك وآخر قصيدة لحالى بالفارسية هى فى مدح حبيب الله خان والى دولة خداداد فى أفغانستان بمناسبة حضوره إلى مدرسة العلوم بعلى گرطهـ ونظمها حالى عام ١٩٥٧م[٣].

وعلاوة على هذه القصائد التى نظمها حالى فى المدح والتهنئة فإن له سبع مراثى باللغة الفارسية خمسة منهم فى قالب القطعة وهى:

١ - **الأولى**: فى رثاء نواب محمد على خان رشكى الذى كان رئيسا لجهانگير آباد خلفًا للنواب مصطفى خان شيفته[٤].

٢ - **الثانية**: فى تاريخ وفاة السيد محمود على أخى السير سيد أحمد خان[٥].

٣ - **الثالثة**: فى وفاة وزير الدولة سيد محمد حسن خان وزير ولاية پتيالة[٦].

٤ - **الرابعة**: فى وفاة مشير الدولة سيد محمد حسين خان[٧].

٥ - **الخامسة**: فى وفاة مولوى چراغ على الذى كان من رفاق السير سيد ومن المؤيدين لحركته[٨].

ونظم حالى المرثية السادسة فى قالب «ترجيع بند» وهى فى رثاء نواب مختار الملك

---

(١) حالى: المرجع السابق: ص ٣٨١.
(٢) افتخار صديقى: مقدمة كليات نظم حالى. جـ ١. ص ٧٣.
(٣) حالى: كليات نظم حالى. جـ ٢ ص ٣٩٣.
(٤) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٤.
(٥) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٥.
(٦) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٦.
(٧) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤٠٨.
(٨) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٤١٠.

سرسالار جنگ ميرتراب على خان ونظمها حالى سنة ١٨٨٣م[١].

والمرثية السابعة والأخيرة كانت فى رثاء السير سيد أحمد خان وهى فى تركيب بند ونظمها حالى سنة ١٨٩٨م[٢] وطبعت ونشرت فى دهلى فى مطبعة مجتبائى فى شهر مايو ١٨٩٨م بعد موت السير سيد بفترة قصيرة ويقول حالى فى ترجمته: كان آخر شعر لى بالفارسية قصيدة فى قالب «تركيب بند» نظمتها فى عام ١٨٩٨م فى رثاء السير سيد أحمد خان. وآخر شعر لى بالأردية نظمته[٣] فى تابين الملكة فيكتوريا (ملكة بريطانيا) ونشر فى مجلة على گرھ گزت»[٤] ونظم حالى أشعاراً باللغة العربية أيضًا فى أثناء إقامته عند مصطفى خان شيفته فى جهانگير آباد وهى قليلة نسبيًا فى مقابل أشعاره الفارسية، وكانت قصيدة حالى «البائية» فى مدح شاه عبد الغنى هى أولى قصائده باللغة العربية ونظمها فى عام ١٨٦٧م وأرسلها إلى شاه عبد الغنى (المتوفى ١٢٩٥هـ) فى المدينة المنورة وتتكون هذه القصيدة من ٤٨ بيتًا ومطلعها:

هوى الحور بلوى كل حبر ونادب ... وفتنة قسيس وزلة راهب

وهزم لمنصور وفتح لخاذل ... وعز لمغلوب وذل لغالب[٥]

وقد أظهر حالى مهارة فائقة فى هذه الأشعار العربية ونستطيع أن نقول بلا مبالغة إنه لو كان لحالى أشعار عربية بشكل مستقل فإنه يكون شاعراً مجيداً فى هذه اللغة، وهذه القصيدة يهب منها نسيم الصحراء العربية وبدأها حالى بطريقة جذابة ولكن الأشعار التى نظمها فيما بعد فى لاهور قليلة العدد بسبب مرضه وليس بها الترصيع الذى هو بمثابة روح القصيدة ومع ذلك فإن أشعاره العربية تسير على نفس طريقة العرب وخصوصيات القصيدة العربية[٦].

وكان قد أرسل هذه القصيدة إلى شاه عبد الغنى فى المدينة المنورة فأرسل لحالى خطابًا يشكره ويقول فيه:

---

(١) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٣٩٥.

(٢) حالى: المرجع السابق: جـ ٢ ص ٣٩٧.

(٣) حالى: كليات نظم حالى: جـ ١. ص ٣٤٩.

(٤) حالى: ترجمة حالى: ص ٣٤٣.

(٥) حالى: كليات نظم حالى. جـ ١ من ص ٤٣٠ - ٤٣٣.

(٦) غلام مصطفى خان: حالى كا ذهنى ارتقا: ص ٢٨، ٢٩.

«واستحسنها بعض أدباء المدينة المنورة لما فيها من البراعة والفصاحة»، وقد كتب حالى عدة قطع شعرية فى المناسبات العامة والحفلات وتشتمل أشعار حالى العربية على ٦ قصائد وثلاث مقطوعات(١).

* وقد نظم حالى قصيدة باللغة العربية يمدح بها منشى محمد كرم الله خان بمناسبة زواجه فيقول:

- بنفسى ما به جاء البشير ... وما افدى به شيء يسير
- فبشرنى وقد ألقيت سمعى ... بسورٍ لا يكافئه سرور
- فقمت إذًا وكيف يقوم مثلى ... نحيفًا ليس يبعثه النشور
- شكيًا لا يصاحبه أنيس ... غريبًا لا يزار ولا يزور
- نسيت ولم أكُ انسى همومى ... فما هذا النشاط وذا السرور
- أرى الأرجاء قد ملئت بهاءً ... وفى القمرين فوق النور نور
- فيا للربع من ربع يهيج ... به صحب وإخوان حضور
- كأن الناس حول العُرس كانوا ... نجومًا بينها قمر منير(٢)

* ونظم حالى قصيدة أخرى باللغة العربية يصف فيها حزنه على فراق اصدقائه فى لاهور بعد أن استقر فى دهلى فيقول:

- هل من يبلغ عن محصور لاهور ... عن مبتلى فيه بعد الكور بالحور
- إلى ديار بها سلمى وأهلها ... إن لم يكن فى زمان البين من خير
- هل فيكم من يواسى حائدًا أسفًا ... بما مضى من دوام القرب والزور
- ولم يذل حدثان الدهر يزعجنى ... يومًا بنجد وبما كنت فى غور

---

(١) حالى: كليات نظم حالى. جـ ٢ من ص ٤٣٠ إلى ٤٤٢.
(٢) حالى: كليات نظم حالى جـ ٢. ص ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠.
(٣) حالى: كليات نظم حالى. جـ ٢. ص ٤٣٠.

– لكننى راسخ فى حبكم قدمى فلن أحـــوّل عن طور إلى طور

– إنى أحب وأهوى أن الاقـــيكم إن لم يكن نحوكم مسعاى أو سيرى

– أرجو من الله بعد العسر ميسرة أما على مهلة ما أو على فورٍ(١)

– كما قام حالى بترجمة جزء من قصيدة باسم « واقعة هجرت » أى هجرت الرسول إلى الأردية شعراً وهى قصيدة الإمام على بن أبى طالب ومطلعها :

– وقيت بنفسى خير من وطىء الحصى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر(٢)

وترجم حالى هذه القصيدة عام ١٨٨٦م، وترجم أيضًا أبياتًا من قصائد إنجليزية إلى اللغة الأردية شعراً. ووضعها فى آخر ديوانه تحت عنوان أشعار متفرقة، وترجم عدة أبيات أخرى من الإنجليزية « ناقدرى » فى عام ١٩١٣م، وقام حالى فى عام ١٨٧٨م بترجمة الجزء الأول من قصيدة « زمزمهٔ قيصرى »(٣) للشاعر الإنجليزى آستوك(*) ونظم حالى هذه القصيدة فى قالب « تركيب بند » وهى من ثلاثة أجزاء وألقاها فى البلاط القيصرى بمناسبة مجىء الملكة فيكتوريا إلى الهند وقد قام حالى بترجمة الجزء الأول إلى الأردية واعتذر عن ترجمة الجزءين الثانى والثالث إلى الفارسية بسبب مرضه.

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣١.

(٢) حالى : كليات نظم حالى. جـ ٢. ص ٣٢٨ – ٣٣٠.

(٣) حالى : المرجع السابق : جـ ٢، ص ٢٩٥.

(*) الشاعر الإنجليزى آستوك (١٨٣٥ – ١٩٠٠) أحد الشعراء الإنجليز غير المشهورين وكان يعيش فى الهند وعمل موظفًا لدى الحكومة الإنجليزية فى الهند وله ديوانًا يحتوى على قصائد إنجليزية واردية، وقد نظم قصيدة « زمزمه قيصرى » عام ١٨٧٥م للترحيب بالملكة فيكتوريا بمناسبة زيارتها للهند وذلك بامر من نائب الحاكم العام للهند السير كرنل. (غلام مصطفى خان : حالى كاذهنى ارتقا ص ٨٩).

موضوعات شعر حالى

يعتبر حالى من رواد الشعر الأردى الحديث الذين قاموا بإصلاحات عديدة فى الشعر الأردى فى الشكل والمضمون وترك ثروة شعرية كبيرة تنوعت فيها فنون الشعر المختلفة من غزل ومثنوى وقصيدة مرثية ورباعى ومقطوعة ومسدس وكان أول شاعر يعبر فى شعره عن هموم شعبه وقضايا وطنه فنظم فى الشعر الهادف وتلاحم مع قومه لذلك ركز حالى اهتماماته فى الشعر بالموضوعات الدينية والاجتماعية والتعليمية والأخلاقية ودافع عن المرأة ونظم شعراً للأطفال وفى المناسبات الوطنية اهتم بشعر الطبيعة والشعر القومى.

١ - الغزل:

الغزل فى الشعر الأردى مصطلح خاص يختلف عن الغزل فى الشعر الفارسى. «فالغزل فى الشعر الأردى نوع من النظم يشتمل على مجموعة من الأبيات المتحدة فى الوزن والرديف ويتفق شطرا البيت الأول منه فى نفس الرديف ثم يتفق هذا الرديف مع رديف الشطر الثانى من بقية الأبيات وتتغير القافية فى كل بيت عن البيت الآخر وتشتمل كل غزلية على موضوعات عديدة وكل بيت يحمل معنى منفرداً. ويذكر الشاعر تخلصه فى البيت الأخير»(١) «والغزل كما هو معروف لا يبين موضوعًا خاصًا بطريقة مسلسلة إلا نادراً بل يؤدى الأفكار المتفرقة فى أبيات منفصلة، ومع أن أصل الغزل كما يبدو من كلمة «غزل» كان خاصًا بموضوعات الحب فقط إلا أن هذا لم يستمر طويلاً، فهناك كثير من شعراء إيران وبعض شعراء الهند الذين قد مزجوا الغزل بموضوعات المواعظ والأخلاق والتصوف إلى جانب موضوعات الحب»(٢). ويتفق شبلى النعمانى مع حالى فى توضيح مصطلح الغزل فيقول: «الغزل الفارسى لا يتناول أى أمر من أمور الحب والعشق بطريقة مسلسلة بل كل بيت منفصل عن الآخر ويحمل فكرة واحدة قائمة بذاتها ومختلفة عن الفكرة الأخرى التى فى البيت الذى يليه»(٣).

وكان أول فن شعرى نظم فيه حالى هو فن الغزل الذى يعد الفن الشعرى الأول فى

---

(١) قادر بخش دهلوى: گلستان سخن، جـ ١، ص ١٧٣.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٠٠.

(٣) شبلى النعمانى: شعر العجم جـ ٥. ص ٧٤ - ٧٥.

الشعر الأردى وتقام شاعرية أى شاعر أردى بمدى نبوغه فى هذا الفن ويرجع ذلك إلى صعوبة النظم فى هذا الفن الذى يتميز بتقاليد فنية صارمة يتوارثها الشعراء ويتمتع هذا الفن بشهرة فائقة لدى العوام فضلاً عن الخواص وقد نظم حالى شعر الغزل فى بداية حياته وحتى وفاته عام ١٩١٤م وإن كان إنتاجه فى هذا الفن أغزر فى مرحلة الشباب.

وتنقسم غزليات حالى إلى ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى:

– وتضم هذه المرحلة غزليات حالى القديمة التى نظمها من سنة ١٨٦٣م حتى سنة ١٨٧٤م ونحن لا نستطيع أن نحدد هذه المرحلة ونهايتها بشكل قاطع ففى سنة ١٨٦٣م بعد أن دخل حالى فى دائرة تأثره بنواب مصطفى خان شيفته بدأ فى نظم شعر الغزل بطريقة مستقلة.

وهذه الغزلية نموذج لغزليات حالى القديمة:

– لقد زاد قلق القلب واضطرابه ... فمواساتك أصبحت لى بلاء

– سأضطر إلى كشف جراح قلبى ... ولو أخطأت سهمه (هدفه)

– فأى أمنية هذه التى لها نهاية ... الوعد لا يصير وعداً إذ وفىّ

– لقد بدأت الأنفاس تتوقف ببطء حتى فنيت * وتضاعف المرض وتزايد حتى صار دواءاً

– وأنا لا أستطيع أن آتى وقت وداعه ... فعناقه وبكاؤه أصبح آفة لى[1]

---

(١) قلق اوردل مي سوا هوگيا ... دلا ساتمهارا بلا هوگيا

دكهانا پرٹے گا مجهے زخم دل ... اگر تير اس كا خطا هوگيا

وه اميد كيا جس كى هوانتها ... وه وعده نهين جو وفا هوگيا

هوا ركتے ركتے دم آخر فنا ... مرضى برٹ هتے برهتے دوا هوگيا

نهين بهولتا اس كى رخصت كا وقت ... وه رورو كے ملنا بلا هوگيا

سمان كل كاره رے اتا هے ياد ... ابهى كياتها اوركيا سے كيا هوگيا

سمجهتے تهے جس غم كو جانگزا ... وه غم رفته رفته غذا هوگيا

نه دے ميرى اميد مجهه كو جواب ... دهے وه خفا، گر خفا هوگيا

ٹيكتا هے اشعار حالى سے حال ... كهين سادة دل مبتلا هوگيا

- لقد ظلت تتوارد ذكرى مشهد الأمس كيف كانت الأمور وكيف تغيرت فى حين؟!
- فالحزن والغم الذى كنا نعتبر مضنيا للروح أصبح الآن غذائى بالتدريج
- أيها الأمل لا تخذلنى، ليبقى (الحبيب) غاضبًا لو هو غاضب منى
- إن حال حالى يظهر فى أشعاره، ولربما ابتلى (بالحب) ساذج القلب[1]

المرحلة الثانية:

فى سنة ١٨٧٢م جاء حالى إلى لاهور وهناك عمل فى مخزن كتب إقليم البنجاب وكان يقوم بإصلاح الترجمات الأردية المترجمة عن اللغة الإنجليزية، وسنحت له الفرصة آنذاك للاستفادة من الأدب الإنجليزى والاطلاع على علوم الغرب عن طريق هذه التراجم، وتعرّف أيضًا على الحركة الإصلاحية لجمعية البنجاب «انجمن پنجاب» كما أثرّت عليه فى هذه المرحلة أفكار السير سيد عن طريق المقالات التى كان يكتبها فى مجلتى «تهذيب الأخلاق» و«مجلة معهد على گرﻫ» يقول حالى: «فى أثناء إقامتى بلاهور بدأت تقل عندى بالتدريج قيمة الآداب الشرقية وتأثيرها وبصفة خاصة الأدب الفارسى وبدأت تنشأ بينى وبين الأدب الإنجليزى علاقة من نوع ما»[2] وظهرت لدى حالى فى هذه الفترة الرغبة الشديدة فى إصلاح الأدب الإردى ووضعه على طريق الإصلاح الصحيح، وفى سنة ١٨٧٤م نشر عبد الغفار نساخ تذكرة «سخن شعراء» وقام باختيار أربع عشر غزلية من خمس وعشرين غزلية كان حالى قد أرسلها له بناء على طلبه ولرغبته فى نشرها فى تذكرته «سخن شعراء» وتعد جميع هذه الغزليات من الغزليات القديمة ولهذا السبب فغالبا ما يتحدد عام ١٨٧٤م آخر حد فاصل لغزلياته القديمة وبداية ظهور النزعة الجديدة فى غزلياته والذى يعد تأثير البيئة والتسلسل المنطقى من أهم سماتها ونستطيع على كل حال أن نقول بكل ثقة أن أسلوب حالى وطريقة نظمه للغزل قد تغيرت أثناء إقامته بلاهور أى حتى أواخر عام ١٨٧٤م وقد استمرت هذه المرحلة منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٨٩٣م وهى السنة التى طبع فيها ديوانه «ديوان حالى».

وهاتان الغزليتان يعتبران من نماذج غزلياته فى هذه المرحلة:

---

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/٦٣.

(٢) حالى: ترجمة حالى: ص ٣٣٩.

(١) – ألم القلب لا شأن له بالدواء وما هي علاقة الذهب بالكيمياء؟

– الحديث عن ماء الحياة شيء جميل لكن لا صلة له بالخضر وبماء الحياة

– الملوكية هي ترويض النفس وهذا أمر لا شأن له بظل جناح الهما

– إن الذي يفعله الواعظ سيتحمل نتيجته فما شأنك أنت بذنوبي

– والذين يعبدون الحور والغلمان أيها الزاهد، لا علاقة لهم بالله

– المطلوب من الإنسان المروءة فما علاقةَ الزهد والتقوى بهذا الأمر

– وإذا كان الرند ملوث الطرف فما لنا والبحث عنه

– وإذا كان صوفي المدينة صافيًا فليكن هكذا فلا صلة لنا به

– يا حالي، إن الذين يحبون رائحة الخمر حبًا جمًا، لا يهتمون بثُمالة الخمر أو بصفاءها(١)

(٢) – أيها الواعظ أنك تصطدم مع كل واحد * ولهذا فأنت تُعرف بناصح القوم

(*) يقصد الشاعر «بالملوكية» الحكم، وقد كان في عصره يظنون أنه إذا وقع ظل طائر الهما على إنسان فإنه يصير ملكًا.

١ – درد دل کودوا سے کیا مطلب کیمیا کوطلا سے کیا مطلب

چشمہء زندگی ہے ذکر جمیل خضر وآب بقا سے کیا مطلب

پادشاہی ہے نفس کی تسخیر ظل بالِ ہما سے کیا مطلب

جوکرین گے بھرین گے خود واعظ تم کومیری خطا سے کیا مطلب

جن معبود حور وغلمان ہین ان کوزا ہد خدا سے کیا مطلب

کام ہے مردمی سے إنسان کی زہد یا اتقا سے کیا مطلب

ہے اگر رنددا من آلودہ ہم کوچون وچراکیا مطلب

صوفی شہر باصفا ہے اگر ہو، ہماری بلا سے، کیا مطلب

نکہت سے پہ غش ہیں جو حالی ان کودرد وصفا سے کیا مطلب(١)

* * *

٢ – یہ مین واعظ، سب پہ منہ آتے ہین آپ ناصح قوم اس پہ کہلاتے ہیں آپ

بس بہت طعن وملامت کرچکے کیون زیان رندون کی کہلواتے ہیں آپ =

---

(١) حالي: كليات نظم حالي: ١/١٠٣ – ١٠٤.

– فلتكف عن المزيد من اللوم والتجريح	ولا تدع الرنود يتحدثون عنك
– يوجد فى الأبريق نفس اللذة التى	تشعر بها حين الصعود على المنبر
– فيا أيها الواعظ أن الخجل حرام على	الذين يخجلون من ذنوبهم بأنفسهم
– لماذا تكّفر كل واحد؟	هلا أمعنت النظر فى ذلك الأمر قليلاً
– إنك أيها الواعظ تعّمر النار	وتترك الجنة خاويه من الناس
– يا حالى بسبب مداعبتك للواعظ	جعلتهم يرمون فراشك خارج الجنة(١)

المرحلة الثالثة:

وهى آخر مرحلة فى نظم حالى لشعر الغزل ونظم فيها سبع (٧) غزليات فقط وبدأت من سنة ١٨٩٣م حتى سنة وفاته ١٩١٤م وبذلك يصل عدد الغزليات القديمة إلى (٣٠) غزلية والغزليات الجديدة (٩٣) غزلية فيكون مجموع غزليات حالى القديمة والجديدة (١٢٣) غزلية، وقد أحصى الدكتور شجاعت على سنديلوى غزليات حالى بـ (١١٥) غزلية، (٩٩) جديدة و(١٧) قديمة(١).

وفيما يتعلق بغزليات حالى القديمة فى هذه المرحلة يوجد أمامنا شعر حالى العربى والفارسى والذى بقراءته يتضح أن هناك علاقة وثيقة بين حالى والشعر العربى على عكس الميول والنزعات التى كانت تدور فى عصره وكان طبعه يميل إلى البساطة والحقيقة والبعد عن المبالغة والكذب، كما أن الشعر الفارسى شاهد على المراحل العديدة التى مر بها فن الغزل عند حالى وكان حالى عالمًا بمعالم مراحل تطوره وطبعه أكثر ميلاً لسعدى فى الأدب الفارسى ومير فى الأدب الأردى كما أنه استفاد كثيراً من أستاذه غالب الذى

= ہے صراحی مین وہی لذتکی جو — چڑھ کے منبرپر مزاياتے ہیں آپ
واعظو ہے ان کو شرمانا گناہ — جو گنہ سے ایے شرماتے ہیں آپ
کرتے ہین اکاکی تکفیر آپ کیون؟ — اس پہ بھی کچھ غور فرماتے ہیں آپ
کرتے ہین آباد دوزخ کو حضور — خلد کو ویران کرواتے ہیں آپ
چھیڑ کرواعظ کو حالی خلد سے — بستراکیون اپنا پھنکوا تے ہیں آپ(١)

(١) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيت شاعر ص ٨٩.

---

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/١٠٤-١٠٥.

يعتبر استاذاً لهذا الفن وتتلمذ حالى عليه وكان صاحب ذوق خاص فى شعر الغزل ويعترف حالى بذلك فى بيت شعر(*) له فيقول:

حالى سخن مين شيفته سے مستفيد غالب كا معتقد، مقلد ميركا(١)

فتعلم حالى من غالب جمال المعنى وقوة الأسلوب وفصاحته وأخذ عن شيفته الميل الفطرى للصدق وتأثر بأسلوب مؤمن وتنوع أشعاره عن طريق شيفته وجميع صور التأثر هذه نستطيع أن نراها ونلمسها بوضوح فى غزلياته القديمة، لكن صلة التوافق بين حالى ومير كانت أكثر عمقًا لأن الإغراق فى البساطة والإخلاص فى الفن والصنعة عند ميركان عونًا ونبراسًا لحالى فى بداية نظمه للغزليات القديمة فتنساب خواطر القلب بدون تكلف أو تصنع وتتميز بالبساطة والوضوح فى الصياغة إلى جانب القدرة على إظهار الألم والحرقة التى تذكرنا بأنين مير وأحزانه ولكن حالى لم يكن مثل مير الذى يتلذذ بمفرده بآلامه الداخلية وتعتصره الأحزان ولا كغالب الحائر الهائم فى صحراء الخيال. ولذلك يبدو حالى من خلال غزلياته أكثر تفاعلاً مع الشعور الاجتماعى العام وتنبع حرقته وآلامه من البيئة المحيطة به فيتنامى الشعور والإحساس والإخلاص لديه. وقد قدم حالى احتجاجًا شديداً فى مقدمته «مقدمة شعر وشاعرى» ضد العناصر التقليدية والمتوارثة فى الشعر الأردى لذلك نراه يهجر موضوعات الغزل التقليدية القديمة مثل موضوعات الفلسفة والتصوف والخمريات والعشق مع أن هذه العناصر موجودة بشكل أو بآخر عند أساتذة ذلك العهد مثل غالب وشيفته ومؤمن الذين تأثر حالى بهم فى غزلياته ولكن بعد أن صقل طبعه وصفت قريحته اعترف بعدم وجود أى تناقض بين محاولة الاعتماد على عناصر الغزل القديمة مثل البلبل والوردة فى بعض غزلياته القديمة وبين المضمون الجيد لهذه العناصر. وتأكيداً لذلك استخدم حالى كلمات الهجر والوصال والخمر والكأس والكعبة والدير والمعبد والحديقة والقفص والورده والبلبل والخريف والربيع وغيرها من علامات الغزل التقليدية. ولكن فى المرحلة التالية قام حالى بتاسيس عناصر جديدة للغزل من البداية للنهاية كما يقول:

(*) لقد استفاد حالى كثيراً فى شعره بشيفته ∴ وهو تلميذ لغالب ومقلد لمير.

(١) كليات نظم حالى: جـ ١، ص ٤٠. وبابورام سكسينه: تاريخ أدب ارد و ص ٣٥٧ وكليات نظم حالى: جـ ٢. ص ٣٣٤.

اپنی روداد تهی جوعشق کاکر تے تهے بیان جو غزل لکهتے هوتی تهی سرا سرحالی[1]

– كانت حكايتى عندما كنت أتحدث عن العشق، فالغزل الذى أنظمه كله كان حكاية حالى.

فعندما خرج حالى من نطاق فرديته الضيقة إلى هموم المجتمع أصبحت حالة العصر هى تفكيره وقصة الوجود هى قصته ومن هذا المنطلق يقول حالى كل ما يحس به فى شعره بشكل كامل دون التقيد بموضوع معين أو بالقافية فى غزلياته الجديدة.

فثقافة الشاعر هى الباعث الأول فى توسيع الدائرة اللامحدودة لموضوعات الشعر ففى البداية (المرحلة الأولى) كانت الدائرة الحقيقية له محدودة بدخائل العشق وحالته النفسية أما الآن وقد أحاط بمشاهدة الحياة العديدة وتجاربها المتكررة ظهر التنوع والرحابة أيضًا فى كيفية العشق ومفاهيمة المختلفة، لذلك نرى حالى يعبر عن الحب والعشق بأفكار جديدة وشعور متدفق فى غزلياته الجديدة وبأسلوب مختلف عن الغزليات القديمة، فاهتم حالى فى غزلياته الجديدة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والأخلاقية والأفكار الإصلاحية، وبكى على ضعف المسلمين واعترته رغبة جامحة فى الإصلاح، فجعل من جميع الموضوعات مجالاً خصبًا للغزل، وهكذا احتوى الغزل الحياة والكائنات على رحابتها بين دفتيه ومحا الحدود الداخلية والخارجية للتجارب والمشاهد المتعددة. وعلى الرغم من أن حالى قد اختار صورة شعر النصيحة فى بعض الأماكن فى الغزليات الجديدة – عندما تقوى عنده العاطفة القومية – لكن فيما عدا بعض الغزليات المسلسلة فإننا نجد فى كل شعر حالى المعاناة والحرقة، وينفصل أسلوبه وصياغته عن طريقة التخاطب بالنصيحة والموعظة المباشرة[2].

وكان حالى يعرف جيداً المثل والطبيعة الخاصة للغزل لهذا فقد خطا بخطى حثيثة نحو الإصلاح وجعل الغزل صدى لقضايا العصر ومقتضياته الحديثة وأقر الخصائص الفنية الأساسية لطبيعته وأكد على هذا الموضوع بقوة فى «مقدمة شعر وشاعرى» وترك حالى أسلوب الغزل القديم الذى أنست به الآذان وراق لها كما كان فى السابق. وأضاف إليه بالتدريج اللغة وأساليب الصياغة الجديدة، وظل حالى عشرين سنة – قبل أن ينشر مقدمته يعمل على تحقيق هذه القواعد فى غزلياته الجديدة، وهناك خطأ شائع فيما

(١) حالى: كليات نظم حالى. جـ ١. ص ٤٢.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٤٢ – ٤٤.

يتعلق بفهم محاولات حالى الإصلاحية للغزل الأردى وهى أنه خالف الأساليب المعروفة للغزل، وكان ضد رموز الغزل وعلاماته الخاصة به مع أن حالى كان يعترض على هذه العلامات والرموز التقليدية فقط مثل « دشنه وخنجر» و« ناز وغمزه» ولم يتخل عن باقى الرموز الغزلية.

وكان الغزل قبل حالى يهتم بموضوعات الحب والعشق والوجد وما ينتج من مشاعر الألم والحرقة والحرمان بسبب هجر الحبيب، كذلك كان الغزل يركز على تصوير مفاتن المرأة وإبراز جسدها، أما الغزل عند حالى فهو رحب رحابة الحياة الحديثة واكتسب الغزل معانى سياسية وقومية وصار كل موضوع فى الحياة صالحًا للغزل ولم يقتصر على موضوعات العشق فقط بل تخطاها إلى مجالات الحياة العصرية واستخدم حالى بمهارة جميع العلامات الغزلية القديمة وبث فيها الروح الجديدة وقدم فى غزلياته عشرات الأمثلة التى استعمل فيها الربيع والخريف والبرق وعش الطائر والخمر والكأس والسفينة والطوفان وغريها من علامات الغزل ولكن بمعانى جديدة وأخيلة طريفة.

ونظم حالى (١٩) غزلية جديدة غير مردفة (بلا رديف) واقتصر على القافية فقط وبذلك أزال حالى عقبة الالتزام بالرديف من طريق تطور الغزل والتى كان شعراء مدرسة لكناؤ ودهلى على السواء يعتبرونها عيبًا فى الغزل كما أقام حالى رابطة قوية بين اللفظ والمعنى بعد أن طهر الغزل من مساوئ الصنعة والمحاورات الشعرية والأبنية الشعرية الصعبة، وأحدث الترابط والوحدة الداخلية فى أبيات الغزل(١).

ونظم حالى أيضًا الغزل المسلسل ولكنه ابتعد عن النعت والحمد فى مطلع الغزلية ولم يزد عدد الغزليات المسلسلة عن اثنى عشرة غزلية ومع أن التوافق المعنوى بين أبيات هذه الغزليات متوفر إلا أنها لم تفقد الوحدة فى أبياتها فى نفس الوقت وكانت هذه التجربة الخطيرة التى أقدم حالى عليها تأكيداً على شعوره بالفن والاعتدال والتوازن فى سلسلة إصلاحاته للغزل ونقده والتى لم تستطع الحركات الأدبية المنظمة فى القرن العشرين تقديم نموذج مثلها، فعندما نقرأ غزليات سليم پانى پتى وجوش مليح آبادى وما فيها من توافق ميكانيكى يفتقد إلى روح الغزل فإننا نشعر بأن ذوقنا الشعرى وفكرنا النقدى فى النصف الثانى من القرن الماضى لم يتعد كثيراً مستوى نقد حالى(٢).

---

(١) افتخار صديقى : المرجع السابق ص ٤٥ .

(٢) افتخار صديقى : كليات نظم حالى : جـ ١، ص ٤٦ .

وعلى الرغم من أن حالى كان من الشعراء البارزين فى نظم موضوعات الغزل إلا أنه هجرها فى أواخر حياته وبدأ يتجه إلى الاهتمام بالموضوعات الاجتماعية والقومية والشعر الهادف الذى يفيد المجتمع الهندى فى ذلك الوقت لذلك يعلن حالى بهذا البيت تمرده على شعر الغزل:

اب سنو حالى كے نوح عمر بهر هوچكا هنگامهٔ مدح وغزل(١)

وقوله: هوچكے حالى غزل خوانى كے دن واگنى بے وقت كى اب گائين كيا(٢)

ويعلل حالى أسباب تركه النظم فى موضوعات الغزل فى مقدمة ديوانه فيقول:

تعتبر علاقة الشعر بالعشق والحب علاقة ضرورية ولازمه فقد نشأ الشعر فى العالم نتيجة الحماسة والعاطفة اللتين تنشأ فى قلب الإنسان بسبب الحب فمادة الشعر قابلة للاشتعال وتحتاج لأى قبس من نار لإشعالها، ولقد ظلت هذه الفكرة التى لا تفضل أى شعر سوى شعر الغزل سائدة لفترة من الزمن، ولم يتبادر إلى ذهنى أى فكرة لاختيار طريق آخر مضاد. ولكن عندما تقدم بى العمر وبدأت حماسة الشباب فى التضاؤل تدريجيًا وتبدلت أمانى الغزل والتشبيب بالانفعال والثورة وبدأت أخجل من الشعر الذى كنت أفخر به من قبل، وانقضى عصر شعر الغزل(٣). ويقول فى بيت شعر له:

اب كه الفت هے نه جا بهت نه جوانى نه امنگ سرهے سودا تهى عشق سے دل هے خالى(٤)

ويتجلى ذوق حالى الشعرى وشعوره الفنى فى الغزل على أكمل وجه عنه فى أى من فنون الشعر الأردى وإذا لم يكن قد نظم غير الغزل فقط فإنه مع ذلك ينال منزلة عظيمة فى تاريخ الشعر الأردى وعلى حد قول الدكتور إعجاز حسين: «يوجد فى غزليات حالى

---

(١) الترجمة: فلتسمع الآن نواح حالى طول العمر، فقد انقضى عهد المدح والغزل (كليات نظم حالى: جـ ١: ١٣٦).

(٢) الترجمة: لقد انتهت أيام إنشاد الغزل يا حالى، فكيف تغنى أنشوده فى غير وقتها (كليات نظم حالى: جـ ١: ص ١٠١).

(٣) حالى: ديوان حالى: القدمة ص ١، ٢.

(٤) الترجمة: الآن ليس هناك رغبةولا شباب ولا حب، فالرأس فارغ من هذا الجنون والقلب خالٍ من العشق (كليات نظم حالى جـ ١ ص ١٧٤. وقد أخذ حالى فكرة هذا البيت من كثير عزة حين ساله الناس ذات مرة: لماذا لا تقول الشعر؟ قال: لقد ولى الشباب الذى كانت تتدفق منه الأمانى، وماتت عزة التى كان القلب يشتعل بها حبًا ومات ابن أبى ليلى فما أرغب. يريد عبد العزيز بن مروان «(ذهب الشباب فما أعجب، وماتت عزة فما أطرب، ومات ابن أبى ليلى فما أرغب) (العقد الفريد: جـ ٦، ص ١٥٢).

ألم مير وأسلوب بيان غالب وبساطة شيفته وواقعيته جنباً إلى جنب»[1] على أن شهرة شعر حالى وانتشاره مرتبط أكثر بشعره القومى وبالطريقة الجديدة فى النظم. وفيما يلى نماذج من غزليات حالى الجديدة:

على أن شهرة شعر حالى وانتشاره مرتبط أكثر بشعره القومى وبالطريقة الجديدة فى النظم. وفيما يلى نماذج من غزليات حالى الجديدة:

١ - لتسمعوا وصف العندليب للروضة فى القفص

ولتسألوا المسافر الغريب عن قدر الوطن

- ماذا قالت ريح الصبا للعندليب فى الحديقة؟

فإن ذلك المسكين لم يتوقف لحظة عن البكاء

- لقد مضى الحب والعداوة كلاهما مع الشباب

ولم يعد الآن الكراهية من الرقيب ولا المحبة من الحبيب

---

١ - وصف چمن قفس مين سنو عندليب سے — پوچهو وطن كى قدر مسافر غريب سے
نالون سے ايكدم نهين مسكين كو قرار — كيا كهه گئى چمن مين صبا عندليب سے
لا گ اورلگا وساتهه گئے سب شباب كے — نفرت رقيب سے نه اب الفت حبيب سے
اب دل سے دور ركهو خيال نشاط عمر — آوازے رهاپے يه كوئى قريب سے
شادى پے اك كى وهى جود وسرے كاغم — دنيا كے بهن مين شادى وغم كچهه عجيب سے
دون برٹ هتے درد دل مرون اس مين ياجيون — پاند ٹے سے لون صلاح نه پوچهون طبيب سے
كهتا هون، ديكهنا هون جسے خوار وبے وقار — هے كوئى خاندان شريف ونجيب سے
طالب مين صدق هے نه عقيدت مريد مين — مين آج كل پيربهى كچهه بد نصيب سے
پرٹهے وه خطبه جس مين كه صدق وصفانه هو — كهه دويه جاكے برسر منبر خطيب سے
فاقے مين تم كود يكهه كے جاتى هے بهوك بهاگ — پهنجا هے نسخه آب كويه كس طبيب سے
اب جس كے جى مين آئى بهرے شاعرى كادم — ميدان آج كل هے يه خالى نصيب سے
نعم البدل هے داغ كا، حالى، كلام داغ — ذكر حبيب كم نهين وصل حبيب سے[2]

---

(١) إعجاز حسين: نئے ادبى رجحانات، ط ٣. ١٩٤٦م، ص ٣٣.

(٢) حالى: كليات نظم حالى: ١/١٦٨ - ١٦٩.

– يناديهم شخصًا ما عن كثب

أن أبعدوا عن القلب الآن خيال متعة الحياة

– فسعادة أحدكم هى نفسها حزن للآخر

فالحزن والسعادة فى هذه الدنيا شيئان عجيبان

– أترك ألم القلب ليزداد سواء أموت به أو أحيا

ولا أسأل البرهمى ولا استشير الطبيب

– وأقول حينما أرى رجلاً فى ذلٍ ولا وقار له

إنه ينتمى إلى أسرة ما شريفة نجيبة

– فالصدق ليس فى الطالب ولا العقيدة فى المريد

وشيوخ الطريقة هم أيضًا سيئو الحظ هذه الأيام

– قل للخطيب القائم على رأس المنبر

أن ألق الخطبة التى لا يكون بها صدق ولا صفاء

– ففى حالة الفاقة حينما أراك يفر الجوع، من أين؟

ومن أى طبيب حصلت على هذه الوصفة؟

– والآن كل الذى يخطر على باله يدعى مرض الشعر

ومن حسن حظهم أن هذا الميدان فى هذه الأيام خالٍ (من الشعراء)

– يا حالى، إن شعر داغ هو نعم البدل لداغ

فذكر الحبيب لا يقل متعة عن وصل الحبيب

٢ – لا تكثروا الزيارات (المودة) فيما بينكم

لا سمح الله فربما يسبب هذه الأمر كراهية أكثر

---

٢ – برٹھاؤنه آپس مين ملت زيادة ... مبا داكه بهو جائے نفرت زيادة

تكلف علامت هے بيگانكى كى ... نه ڈالو تكلف كى عادت زياده

كرود وستو! پهلے آپ اپنى عزت ... حوچا هوكرين لوگ عزت زياده =

- التكلف دليل على الغربة

فلا تعودوا أنفسكم على التكلف أكثر

- لا تجرحوا نسب أحد منكم

أليس في هذا لؤم أكثر

- وعليكم أن تكسبوا الشرف بالعلم

وبالمروءة يزداد هذا الشرف أكثر

- ولا تجلسوا في الدنيا لحظة واحدة بدون عمل

إذا أردتم أن يكون هناك رخاء أكثر

- فالعالم لم يمكن تسخيره بعذوبه اللسان

وهذا لا يحتاج إلى مال أكثر

= نکالونه رخنے نسب مین کسے کے — نهین اس سے کوئے رذالت زیاده

کرو علم سے اکتساب شرافت — نجابت سے هے یه شرافت زیاده

فراغت سے دنیامین دم بهرنه بیٹهو — اگر جاعتے هو فراغت زیاده

جهان رام هو تاهے میٹهی زبان سے — نهین لگتی کچهه اس مین دولت زیاده

مصیبت کا ایک اک سے احوال کهنا — مصیبت سے هے یه مصیبت زیاده

کرو ذکر کم اپنی دادو دهش کا — مباداکه ثابت هوخست زیاده

پهراورون کی تکتے پهرو گے سخاوت — برٹهاؤنه حدسے سخاوت زیاده

کهین دوست تم سے نه هو جائین بد ظن — جتاؤنه اپنی محبت زیاده

جوچا هو فقیری مین عزت سے رهنا — نه رکهوا میرون سے ملت زیاده

وه افلاس اپنا چهپاتے نهین گویا — جودولت سے کرتے هین نفرت زیاده

نهین چهپتے عیب اتنی ثروت سے تیرے — خدادے تجهے خواجه ثروت زیاده

هے الفت بهی وحشت بهی دنیا سے لازم — یه الفت زیاده نه وحشت زیاده

فرشتے سے بهتر هے إنسان بننا — مگراس مین پرط تی هے محنت زیاده

بکے مفت یان هم زمانے کی هاتهون — یه دیکها توتهی یه بهی قیمت زیاده

هوئی عمر دنیا کے دهندون مین آخر — نهین بس اب اے عقل مهلت زیاده

غزل مین وه رنگت نهین تیری حالی — الاپین نه بس آب دهریت زیاده

- والحـديث عن المآسى أمـام جـمـيع الناس

ليس بمأسـاة بل هو من المآسى أكـثـر

- أقلوا من ذكـر كـرمكم وجـودكم

لا سـمح الله أن يثـبت منه بخلكم أكـثـر

- لـو زاد وجـودكم عـن الحـد

فـسـتنظرون إلى جـود الآخـرين أكـثـر

- حـتى لا يسـاء الظن بكم يا أصـدقـاء

عليكم أن تجـودوا بحـبكم أكـثـر

- الذين يرغـبـون فى إخـفـاء فـقـرهم

لـديهم النـفـور من المال أكـثـر

- إذا أردتم أن تعـيـشـوا بفـقـركم بشـرف

يجب ألا يكون بينكم وبين الأغنياء مودة أكثر

- عـيـوبك لا يمكن إخـفـاؤها وراء الثـروة

فليـعطك الله أيهـا السـيـد ثروة أكـثـر

- إن الألفة والكراهية كليهما ضروريات فى الدنيا

لكن لا يجب أن يكو أحدهما من الثانى أكثر

- فكون الإنسان إنسانًا هذا أفضل من كونه ملكًا

فـهـذا يحـتـاج إلى جـهـد ومـشـقـة أكـثـر

- لقـد وقـعنا فى براثن الزمـان بدون ثمن

وبعـد أن أمـعنا النظر وجـدنا أن الثـمن أكـثـر

- لقـد أنتـهى العـمـر فى مـشـاغل الدنيـا

فـيـا أيهـا العـقل لم يبق لنا فـرصـة أكـثـر

– فيا حالى – لا يوجد لون ولا طعم فى غزلك

فلا تظهر مهارتك فى أداء الألحان[1] والغناء أكثر

٣ – إذا كان الحديث جديراً بالقول فلنتحدث

ولكن كيف يمكن إظهار ما يعانى منه القلب

– إذا كان هناك طمع الدنيا فلنضيع القلب والدين

لو خسرنا هنا كثير فسوف نجد هناك كثيراً بعدما نصل

– ما هذا الأمر فالقلب فى الدير والمقام فى الكعبة

فيجب أن نلتزم بمكان تعلق قلبنا

– ولو هناك ضرر فى الحب أيها الناصحون

فارحلوا عنى فأنا مستاء من الحياة

– فلا تقض على قيمتك الباقة

نحن نؤمن بكلامك فلا داعى للحلف (القسم)

– لقد شبعنا من هذه الدنيا بعد ما طلبنا حقنا

فتعال نكتب لك ورقة إخلاء الطرف عنها

---

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/١٤٨ – ١٤٩ – ١٥٠.

٣ – کہنے کی بات ہوتوا سے کہہ سنائے
جودل پہ بن رہا وہ کیون کرد کہائے

دنیاکی ہوس تودل ودین گنوائے
یان کہوئیے بہت ساتو کچھ جاکے پائے

یہ کیاکہ دل ہے دیر مین اور کعبے مین مقام
ہورہے بس وہین کے جہان دل لگائے

گرجان کاضرر ہے محبت مین ناصحو
ہم جان ہی سے بیٹھے ہین بیزار، جائے

اور اعتبار کہوتے ہواپنا رہا سہا
بس آگیا یقین ہین قسمین نہ کہائیے

بھرپائے بس زمانے سے جوما نگتے تھے حق
فارغ خطی ہم اپنی ابھی لکھ دین، لائے

مشکل ہے پاک ہونا اگر دل نہین ہی پاک
زمزم مین غسل کیجے کہ گنگا نہائیے

ہوتی ہجوم غم مین ہے کیون زہرکی تلاش
حالی بتائین آب کوگر کچھ(*) کہلائیے

(*) حالى: كليات نظم حالى: ١/١٦٨.

- إن لم يكن القلب طاهراً فمن الصعب الطهارة

سواء تغتسل بماء زمزم أو تستحم فى نهر الجانح

- لماذا يبحثون عن السم فى حالة هجوم الألم

فأخبرنا يا حالى - هل نقدم لك قليلاً من السم

٢ - المثنوى:

يقوم فن المثنوى - من الناحية الفنية - على أبيات مستقلة ومصّرعة يشتمل كل بيت منها على مصراعين متفقين فى القافية والروى، مستقلين فى ذلك عن غيرهما، ويسمى شعراء العجم هذا الضرب بالمثنوى ويعرف فى العربية بالمزدوج(١).

ويشترط فى المثنوية أن تكون على وزن واحد مهما كثر عدد أبياتهما، وقد اختلف النقاد فى أصل هذا الفن فيقول براون «هذا الضرب فارسى النشأه لم تعرفه الأشعار العربية القديمة وأن كان بعض الشعراء الذين كانوا من أهل فارس قد استخدموه فى نظم الأشعار المتأخرة التى عرفت باسم المزدوج»(٢) والواقع أن العرب عرفوا المزدوج مع إبان بن عبد الحميد اللاحقى (م ٢٠٠هـ) ونظموا فيه القصص مثل كتاب «كليلة ودمنه» و«الصادح والباغم» والتاريخ: كأرجوزة ابن عبد ربه فى غزوات عبد الرحمن الناصر وكتب العلوم كألفية بن مالك فى النحو(٣) ولكنهم اهملوه بعد ذلك فاهتم به الإيرانيين ونظموا فيه أشعار لا تحصى وأشهرها شاهنامه الفردوسى والمثنوى المعنوى لجلال الدين الرومى وحديقه الحقيقة لسنائى ومنطق الطير لفريد الدين العطار.

وقد انتقل هذا الفن «المثنوى» إلى الشعر الأردى وظلت دائرته محدودة فقط بقصص الحب والعشق مثل «طلسم الفت» للشاعر قلق ومثنوى «گلزارنسيم» ومثنوى «بدر منير» لمير حسن ومثنويات «بهار عشق» و«زهر عشق» و«قريب عشق» لشوق اللكنوى.

ويعد المثنوى انسب صنف شعرى لبيان الوقائع والأحداث المسلسلة والطويلة فى

---

(١) شمس الدين الرازى: المعجم فى معايير أشعار العجم ص ٤١١.

(٢) ادوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران (الترجمة العربية) جـ ٢ ص ٤٧.

(٣) عبد الوهاب عزام «اوزان الشعر وقوافيه» مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة المجلد الأول. العدد الثانى. ١٩٣٣م.

الموضوعات التاريخية والأخلاقية والدينية والسياسية، وهو من الأصناف المحببة لدى حالى لأنه أكثر الأصناف الشعرية فائدة ونفعًا ويقل فيه الالتزام بالقافية عن الأصناف الأخرى مثل الغزل والقصيدة والمسدس وتركيب بند.

وقد ذكر حالى «فى مقدمة شعر وشاعرى» أن الشعر الأردى «لم يكتب فيه أى مثنوى طويل أو قصير فى موضوع التاريخ أو الأخلاق وغيرها من الموضوعات اللهم سوى بضعة مثنويات غرامية قصيرة وهى بعيدة جداً عن ذوق المجتمع ومقتضى هذا العصر، فالقصص التى كانت تذكر فى تلك المثنويات كانت مليئة بالغلو والمبالغة الزائدة عن الحد إلى جانب استحالة حدوثها فى الواقع وأن أحداثها خيالية.

ويرى حالى أن الشرط الأساسى لكتاب المثنوى هو إحداث التناسب فى ترتيب المصارع والأبيات بحيث يستمر التطابق بين كل مصرع وآخر وكل بيت وآخر وألا يحدث أى خلل فى المعنى ولكن لا يحتاج فى الفهم إلى المحذوفات والعبارات المقدره(١).

وقد ظلت دائرة شعر المثنوى الأردى محدودة فقط بقصص الحب والعشق واستخدام شعراء المثنوى هذا الفن فى الوصف، وقد استفاد حالى من رحابة هذا الفن استفادة كاملة فى إظهار أفكاره الجديدة وجعله وسيلة للإصلاح الاجتماعى، حتى صار من الأعمال المجيدة فى الشعر الإردى والتى يمتزج فيها المثل الأخلاقية بالحداثة كما قال السير سيد فى مجلة تهذيب الأخلاق فى ١ محرم ١٢٩٢هـ: «إن مثنويات حالى قد أثرت على قلوبنا وتعد قصيدتاه مثنوى «حب وطن» و«مناظرة رحم وانصاف» والتى نشرت فى جريدة «پنچابى أخبار» أحد مآثرنا فى الأدب لبساطة ألفاظها وصفاء أسلوبها وقوة خيالها فتدخل قلوبنا دون إرادة منا وهى مستساغه كالماء الزلال فكم هى جميلة فى بساطتها وصفائها وتركيب ألفاظها وفى الطبع واللغة والأسلوب»(٢).

وفى مثنوى «مناظرة رحم وإنصاف» أحيا حالى أسلوب المحاورة والأسلوب التمثيلى لبعض شعراء الفرس القدامى ونظم بهذه الطريقة عدة قصائد وكان هذا الأسلوب الجذاب الممتع للتعاليم الأخلاقية جديداً على المثنوى الأردى ويتوفر فى هذه المثنويات الخيال الشعرى بالإضافة إلى الاستدلال المنطقى وفى هذه المثنوية يجعل حالى الناس يحيطون بكل الجوانب الحقيقية والمفصلة لمسائل الحياة المختلفة بدلا من أن يعرض عليهم هذه

---

(١) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٥٥.

المسائل بالإغراق فى المبالغة والتحليق فى فضاء الخيال الفسيح، ففى مثنوى « تعصب وإنصاف » تحليل وتفصيل للتعصب وضيق الأفق وقله صواب رأى العلماء وضحالة تفكيرهم ووصف للسلوك والأخلاق القومية. وفى « مناظرة واعظ وشاعر » تحليل نفسى لكل من الواعظ والشاعر يمتزج فيه الصدق بالفكاهة وقل أن نجد مثيله فى اللغة والشعر الأردى وبعض هذه المثنويات تلتقى بسلسلة الأهداف الإصلاحية لحركة على گرھ وخاصة « كلمة حق » و« تعصب وإنصاف » والتى يبد فيها بوضوح شخصية السير سيد وفكره.

وقد أكد حالى فى مثنوياته على الاهتمام بقضايا المجتمع، كما حاول جاهداً إصلاح هذا الفن فى كتابه « مقدمة شعر وشاعرى » واقترح الحلول بعد أن شخص أسباب تدهور هذا الفن وحاول حالى أن يستفيد منه فى عرض أهدافه الإصلاحية المختلفة. ويقول بابورام سكسينه « اشتهرت مثنويات حالى حتى أنها دخلت ضمن المقررات الدراسية فى بعض الجامعات لخلوها من المحسنات البديعية واللفظية والبعد عن التكلف والتصنع والمبالغة ولصفاء عباراتها وتتضمن هذه المثنويات التعاليم الأخلاقية بأسلوب مؤثر جذاب.

ويعد مثنوى « مناجات بيوه » من المثنويات الهامة التى نظمها حالى لمهمة إصلاحية تتعلق بوضع الأرملة فى المجتمع الهندى وخاصة الأرملة الصغيرة التى توفى زوجها فقد كانت تعتبر مصدر شؤم لدى الجميع ولا يقبل أحد الزواج منها لذا دعا حالى إلى نبذ هذه التقاليد السيئة وحض المسلمين على الزواج من الأرملة، وفيما يلى نموذج من هذا المثنوى يمثل مناجاه هذه الأرملة لله تعالى[1]:

- ... يا من أنت الأول والآخر — والحاضر والناظر فى كل مكان وزمان
- أنت فوق كل ذى علم عليم — وأقوى من كل الأقوياء
- يا من أسمى وأرفع من كل شى — ارفع من القمر، ومن الشمس، ومن السماء

---

١ - اے سب سے اول اور آخر — جہان تہان حاضرا ورناظر
- اے سب داناؤں سے دانا — سارے تواناؤں سے توانا
- اے بالاہر بالاتر سے — چاند سے سورج سے امیر سے =

- أنت المعروف بلا معرفه — والمعلوم بدون سؤال
- أنت الفريد وأنت البديع — يا من أنت غائب عن العيون ونور للقلب
- أنت نجم لعين العمى — وسند للأعرج والمشلول
- أنت مربى الصغار — وصديق من فقدوا أحبائهم
- أنت مسّير سفينة العالم — ومانح الصبر والسلوان فى الألم والحزن
- ليس قبلك ولا بعدك أحد — الجميع منك لا ندلك
- جمالك يتجلى فى البحار والقفار — ورائحتك تتضوع فى الأزهار والثمار
- مقامك فى كل قلب — أنت القريب ومكانك بعيد
- طريقك صعب وضيق — واسمك كالعصا للسالك
- أنت ملجئ للفقراء والمساكين — وعون للمتألمين
- وأنت يا الهى ضياء للبيت المظلم — وحارس لكل وحيد

٣ - القصيدة:

القصيدة فى الشعر الأردى عبارة عن مجموعة أبيات تصل إلى أكثر من مائة بيت متحدة فى الوزن والرديف ويتحد الرديف فى شطرى البيت الأول ثم يتحد مع بقية

= - اے سمجھے بوجھے بن سوجھے — جانے پہچانے بن بوجھے
- سب سے انوکھے سب سے نرالے — آنکھ سے اوجھل دل کے اُجالے
- اے اندھوں کی آنکھ کے تارے — اے لنگڑے لولوں کے سہارے
- ناتیوں سے چھوٹوں کے نانی — ساتھیوں سے پچھڑوں کے ساتھی
- ناؤ جہان کی کھینے والے — دکھ میں تسلی دینے والے
- جب، اب، تب، تجھ سانھین کوئی — تجھ سے ہین سب تجھ سانھین کوئی
- جوت ہے تیرا بسیرا — باس ہے تیری پھول اورپھل مین
- راہ تیری دشوار اورسکرٹی — توپاس اورگھر دور ہے تیرا
- تو ہے تھکانا مسکینوں کا — نام ترا رھگیر کی لکرٹی
- تو ہے اکیلوں کارکھوالا — تو ہے اندھیرے کھرکا اُجالا

(حالى: كليات نظم حالى: ٢/٥ - ٦).

الأبيات فى رديف الشطر الثانى ويسمى البيت الأول مطلع، والقصيدة لا تختلف عن الغزل من ناحية الشكل إلا أن عدد أبيات الغزل لا تزيد عن أحد عشر بيتًا، أما القصيدة فهى لا تقل عن هذا العدد وقد تصل إلى مائة وخمسين بيتًا، أما من ناحية المضمون فموضوعات القصيدة تشتمل على المدح أو النصحية أو الهجاء[١].

ويرى شبلى النعمانى أن جمال القصيدة يكمن فى شروط ثلاثة هى:

١ – حسن المطلع: أى جمال البيت الأول من القصيدة وقوته.

٢ – التخلص: ذكر الممدوح بطريقة إيهامية تبدو وكأنها عفوية غير مقصودة بحيث يفهم القارئ أن الشاعر يقصد فى مدحه شخصًا معينًا.

٣ – خاتمة القصيدة: التى يجب أن تنتهى نهاية قوية وطبيعية[٢].

ونظم حالى قصائد شعرية كثيرة فى قالب «القصيدة» سواء كان فى صورة «قطعة» أو «تركيب بند» أو «مسدس» ونظم حالى أكثر هذه القصائد فى الحفلات الخاصة أو فى التهنئة والشكر والمدح.

ونظم حالى سبع قصائد كاملة وقصيدة واحدة ناقصة وهى فى مدح السير سيد ونظمها عام ١٨٧٧م[٣]. وقد جمع الدكتور افتخار صديقى هذه القصائد الثمان فى كليات نظم حالى المجلد الأول[٤].

وكان الشعراء لا يقبلون على هذا الفن فى الشعر الأردى كما لم يكن العامة يفضلونه ولكن عندما ننظر إلى قصائد حالى نراها دليلاً على عظمة شاعريته واجتهاده الفنى وأن الجانب الممتع فى دراسة هذه القصائد هو أنها مليئة بالإخلاص والصدق فكان حالى يميل إلى البساطة ولذلك قلب الموازين والقواعد الموروثة التى تقوم عليها القصيدة رأسًا على عقب وكان حالى الشاعر الوحيد بعد سعدى الشيرازى – فى تاريخ الشعر الفارسى والأردى الذى امتد قرابة ألف عام – الذى كانت قصائده مبنية على الإخلاص والصدق والبساطة فى عرض الأفكار بدلاً من المحسنات اللفظية والمبالغة.

---

(١) قادر بخش قادرى: گلستان سخن. جـ ١. ص ١٧٣ – ١٧٤.

(٢) شبلى النعمانى: شعر العجم. جـ ٥ ص ١.

(٣) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ ١، ص ٢٦٨.

(٤) افتخار صديقى: المرجع السابق، ص ٢٥٥ – ٢٨٢.

وفى الوقت الذى كان بعض أساتذة الشعر فى عصر حالى يمدحون الحكام والأمراء فى مملكتى حيدر آباد ورام پور طبقًا لتقاليد البلاط القديم نجد حالى يجعل موضوع القصيدة فى الخدمات القومية والوطنية التى يقوم بها هؤلاء الحكم دون التقيد بالتقاليد السابقة، فكانت القصيدة التى نظمها حالى عام ١٨٧٤م(١) فى مدح كلب على خان والى رام پور ومدح اعماله القومية الرائدة هى أول قصيدة من الطراز الحديث خالية من جميع أنواع المبالغة فى تصوير الممدوح، وبعد ذلك أخذت قصائده فى التعمق فى الصدق ونظم قصيدة(٢) بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسينى لنظام حيدر آباد وفيها سرد لتفاصيل أعماله الشخصية وأعمال الصالح العام وقد ألقاها فى حضور مولوى عبد الحق وقال حالى فى بدايتها «أنا لا أمدح شخصًا بدون أساس ولا اتكسب بالمدح وأفضّل تصوير الوقائع الحقيقية الصحيحة من بدايتها لنهايتها»(٣). وهذا القول شاهد على مذهب حالى فى نظم القصيدة.

ونخلص من هذا أن قصائد حالى السياسية والمدحية فى المرحلة الأولى من نظمه (فيما عدا القصائد المطلوبة منه فى المناسبات العامة والخاصة) تتسم بالصدق والإخلاص فى كل أبيات القصيدة كما أن العاطفة الفطرية هى المتحكمة فى كلمات القصيدة وكان هذه العاطفة هى التى أجبرته على الثناء على الممدوح وأعماله بلا تصنع أو تكلف كما هو الحال فى القصيدة التى مدح حالى بها خدمات مولانا ظفر على خان القومية وهو فى السابعة عشرة من عمره.

وقد قدم حالى اقتراحاته لإصلاح هذا الفن الشعرى فى مقدمة شعر وشاعرى(٤)

---

(١) حالى: كليات نظم حالى جـ ١ ص ٢٦٥.
(٢) حالى: المرجع السابق. جـ ١. ص ٢٧٠.
(٣) حالى: مكتوبات حالى. جـ ١. ص ٥٩.
(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٥٢ – ١٥٣.

دھونڈھے خضر مبارك پے كويان آگے هيں هم
چھورڑ كربهٹكا هوا اك كارواں آگے هيں هم

دڑ رپے جو خوش دل هيں وه سن كرنه پژمرده دل
سخت عبرت خيزلے كرداستان آگے هيں هم

هند مين اسلام كا بهولا پهلا تها جوچمن
لے كے اس كامژده فصل خزان آگے هيں هم

علم جوزنده كيا تها آب كے اجداد نے
آج اس در براس كے نوحه خوان آگے هيں هم

قوم كهو بيٹهى هے جو عباسيون كي يادگار
جستجومين اس كي مشعل لے كے ياں آگے هيں هم

تاكه پو معلوم سب كو قوم كى كى حالت هے كيا
اس لے ڈالے گلے ميں جهوليان آگے هيں هم

خود غرض تهرائين يا مكار پم كويا گدا
ذلتين به كركے سب خاطر نشان آگے هيں هم =

وسوف نتناول هذه الاقتراحات فى الفصل الثالث من الباب الثانى.

وتعد «قصيدة صدائے گدايان قوم» أى «صوت متسولى القوم» التى نظمها حالى سنة ١٨٩٣م من القصائد الرائدة ذات موضوع قومى ونظمها حالى للإشادة بأعمال رئيس ولاية بهاول پور فيقول:

– هكذا جئنا إلى هذا المكان لنقتفى آثار أقدام سيدنا الخضر المبارك، وقد جئنا هنا تاركين ورائنا القافلة تائهه.

– ونخاف ألا يشعر السعداء بالضيق والجمود بعد سماع هذا، لقد جئنا إليكم بقصة شديدة العبرة.

– جئنا إليك بخبر حلول فصل الخريف، فى حديقة الإسلام التى نمت وازدهرت فى الهند.

– جئنا اليوم على بابك لنرثى، العلم الذى أحياه أجدادك.

– لقد فقد القوم مآثر العباسيين، لذى جئنا الآن نبحث عن الشعلة.

– جئنا هنا (فى ملابس الفقراء) وأكياس جمع الخيرات معلقة فى أعناقنا، لكى يعرف الجميع ما آل إليه القوم.

– جئنا هنا ونحن نشعر بهذا الهوان بكافة صورة، سواء يعتبروننا أنانيين أو يحسبوننا من الماكرين أو الشحاذين.

– جئنا هنا وقد مسحنا جميع آثار العز والفخار، فلا فخر واعتزاز لاناس قومهم فى المهانة والمذلة.

– لقد حشرنا هنا كضيوف لم توجه إليهم الدعوة، فبنى هاشم يضرب بهم المثل فى تكريم الضيف.

– جئنا إليك بلسان القوم الجاف فى أفواهنا، فيا من أنت مثل ماء الحياة عليك أن تطفىء ظمئنا.

= فخر سب ہے جاهيں ان كے، قوم هے جن كي ذليل — فخر وعزت كے مٹاكر سب نشاں آئے هيں هم
هے بنى هاشم كى مهمان پرورى ضرب المثل — اس لے ياں بن بلائے مهمان آئے هيں هم
تشنگى اپنى بجهاني هوگى لے آب حيات — لے كے منه ميں قوم كے سوكهى زبان آئے هيں هم

٤ - الرثاء:

ويُقصد بالرثاء فى الشعر الأردى عمومًا، رثاء شهداء كربلاء وخاصة رثاء أهل البيت النبوى الشريف، أما ميدان الرثاء الشخصى ورثاء الشخصيات القومية والوطنية فكان خاليًا قبل حالى.

وعلى الرغم من أن حالى كان معترفًا بالمهارة الفنية لشعراء المراثى، لكنه كان يعتبر موضوعها الشعرى[١] ضيقًا ومحدودًا برثاء واقعة كربلاء فقط. ويقترح حالى لهذا الفن علاجًا للخروج من محدودية موضوعاته فيقول: «الشاعر الذى هو لسان حال القوم يجب عليه عندما يصدم هو أو أسرته أو قومه بموت أحد الأشخاص أن يصور هذه الحالة الشعورية المؤلمة المفجعة عن طريق الشعر[٢] وكانت بداية محاولات حالى الإصلاحية فى الشعر الأردى بعد الندوات الشعرية الجديدة التى كانت تقام فى لاهور، لكن فن الرثاء هو الفن الوحيد الذى قدم حالى نماذج جيدة له قبل هذه الندوات الجديدة ففى سنة ١٨٦٩ نظم حالى نموذجًا للمرثية الجديدة فى الشعر الأردى وتعد من الروائع الأولية للمرثية ونظمها حالى فى رثاء أستاذه المحبب لديه مرزا غالب وتشتمل على عشر فقرات «بند» فى كل فقرة عشرة أبيات وتمتزج فيها العاطفة الداخلية بالصنعة الفنية والموسيقا الحزينة إلى جانب التوازن والإنسجام. ومرثية غالب»[٣] لا تحاكى مثل فنه وشخصيته ويندر وجود رثاء شخصى بهذه الدرجة من الروعة في الشعر الفارسى وكان حالى بحق شاعر الرثاء القومى، ويتوقف نجاح المرثية في الرثاء الشخصى أيضا على الإحساس بالألم والحزن الشخصى إلى جانب الإحساس بالخسارة لفقد هذا الشخص، ولذلك لم تكن مرثية غالب وحكيم محمود خان رثاءً[٤] لشخص فقط، بل رثاء للحضارة المغولية ولثقافة دهلى العظيمة[٥].

وقد قام الدكتور افتخار صديقي في كليات نظم حالى[٦] بجمع سبع مراث لحالى، في حين أن الدكتور شجاعت على سندیلوى فى كتابه «حالى بحيثيث شاعر» يذكر

---

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، ص ٥٢.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٣) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ١، ص٣٢٧.

(٤) المرجع السابق ٣٣٧.

(٥) المرجع السابق ص ٥٢، ٥٣.

(٦) المرجع السابق ص ٣٢٧.

أن[١] عدد المراثى التى نظمها حالى هى خمس فقط ولم يذكر مرثية «نوحه قيصره هند» و«سرسيدكے دورفيق» الذى ذكرهما الشيخ محمد أسماعيل پانى پتى فى كتابه «جواهرات حالى».

وقد تأثر حالى بالمراثى العربية إلى حد كبير فى محاولة إصلاح هذا الفن فى الشعر الأردى.

٥- **القطعة**: «تعتبر القطعة جزء من الغزل أو القصيدة ولا يقل عدد أبياتها عن بيتين وليس لها تحديد معين لعدد أبياتها، ولا من الضرورى أن يكون أول مصرعين متفقين فى القافية، ولابد أن يتقيد بالقافية فى أبياتها»[٢].

«والقطعة كما يبدو من اسمها عبارة عن قطعة من قصيدة كاملة انفصلت عنها لسبب من الأسباب وقد تكون أيضا جزءاً من قصيدة لم يقدر لها أن تكتمل، كما قد تكون وحدة قائمة بذاتها أنشأها الشاعر من البداية ليصوغ فيها غرضا من الأغراض»[٣].

و«القطعة فى الأدب الأردى عبارة عن مجموعة من الأبيات يتراوح عددها بين ستة وأحد عشر بيتا وقد تصل إلى بيتين وهى أصغر قطعة وقد نشأ هذا الفن فى الشعر الأردى متأثرا بالشعر الفارسى فى الشكل والمضمون، لكن القطعة الأردية لم تنل منزلة مثيلاتها فى الشعر الفارسى - لارتباطها بالمدح والتهنئة والحفلات الخاصة فى حين أن القطعة فى الشعر الفارسى قد اكتسبت معانى سياسية واجتماعية واصلاحية»[٤].

ويوجد فى ديوان حالى ثلاثة أنواع من القطع علاوة على شعر الغزل الذى نظمه حالى فى قالب «قطعة بند» وهذه القطع هى:

أ - جمع حالى (٦٧) قطعة فى أول الديوان تحت عناوين مختلفة.

ب - القطع المتفرقة التى نظمها حالى فى المدح والشكر والتى ادرجت مع القصائد والاشعار الأخرى.

---

(١) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيث شاعر ص ٢٢٧.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص٣٣.

(٣) ادوارد براون: تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة إبراهيم أمين الشواربى ص ٤٧.

(٤) قادر بخش قادرى: گلستان سخن جـ١٠ ص١٧٧.

جـ - القطع التى نظمها حالى فى التاريخ (القطعات التاريخية) والتى طلبها منه الأشخاص وطبعت فى آخر الديوان تحت عنوان « أشعار متفرقة » وبعض هذه القطع نظمها حالى فى الحفلات الخاصة ولم يرتبها فى الديوان وقد قام الدكتور افتخار صديقى فى كليات نظم حالى بترتيب هذه القطع[١] فى موضوعاتها، قطع فى النقد والسياسة والأخلاق والاجتماع وفى السخرية.

ولم تكن هناك أهمية تذكر لنظم « القطعة » قبل حالى فى الشعر الأردى فقد كانت القطعة تستخدم فى مناسبات التهنئة أو المعذرة أو القطعة التاريخية وأحيانا تستخدم « قطعة بند » فى الغزل. وقد جعل حالى من فن القطعة وسيلة لإظهار اصلاحاته الهامة واعطاها نوعًا من الإستقلالية والمنزلة الخاصة وافسح لها مكان الصدارة فى ديوانه وشملت قطع حالى جميع أغراض الحياة فنظمها فى اصلاح الشعر وفى النقد الأدبى والسياسة والأخلاق وابداء النصيحة لوطنه ولقومه.

٦ - **الرباعية** « فن شعرى يتكون من بيتين (أربعة مصارع) يتشابه المصرع الأول والثانى والرابع فى القافية والروى ويختلف عنها المصرع الثالث، ويجب أن تكون كلماتها وقوافيها ومعانيها محكمة وسلسة وخالية من التكراروالحشو والتأخيروالتقديم، ويستحسن فيها المقابلة والتضاد والجناس[٢].

وقد تحدث شبلى النعمانى فى كتابه « شعر العجم » عن الرباعية ورواد هذا الفن الشعرى وتناول هذا الفن من الناحية التاريخية ولكنه لم يحدد لها مصطلح خاص بها، وتناول عمر الخيام ورباعياته بالتفصيل من الناحية الفلسفية والأخلاقية وذكر أن الخيام قد قام بالتجديد فى أسلوب الرباعية[٣].

وكانت الرباعية فى الشعر الاردى تنظم عموما لاظهار المقدرة على النظم وملء الفراغات فحسب حتى أكسبها شعراء الرثاء وخاصة ميرأنيس معايير سامية وكان ذلك الفن عند شعراء الفرس القدامى خاصا بموضوعات المعرفة المختلفة من فلسفة وأخلاق.

وقد أودع حالى الرباعية سره فى آخر أيام حياته بسبب اختصارها لبيان أهدافه

---

(١) افتخار صديقى : كليات نظم حالى جـ١ ، ص١٧٣ - ٢١٥ .

(٢) شمس الدين الرازى : المعجم فى معايير أشعار العجم. ص ٣٨٨ .

(٣) شبلى النعمانى : شعر العجم، جـ١ ، ص ٢٢٥-٢٤٥ .

الإصلاحية ببساطة ويسر وقد بث حالى الروح فى رباعيات الفكاهة والسخرية وقد جعل حالى الرباعيات القديمة والجديدة فى ديوانه كلها على حدة ونشرت سلسلة رباعياته فى آواخر أيامه وبعد نشر الديوان بعد ما قلت عنده الرغبة فى نظم الشعر(١).

وفى سنة ١٩٣٥م نشر الشيخ محمد أسماعيل پانى پتى «رباعيات حالى»، وفى سنة ١٩٦٨م رتب الدكتور افتخار صديقى رباعيات حالى معتمداً على ما ورد منها فى «ديوان حالى» و«رباعيات حالى» وقد احصاها بـ ١٦٠ رباعية وقسمها إلى ثلاث مراحل طبقا للترتيب الزمنى وهى(٢):

أ – الرباعيات التى نظمها حالى من سنة ١٨٦٣ حتى ١٨٧٢م وعددها ٧.

ب – الرباعيات التى نظمها حالى من عام ١٨٧٢ حتى ١٨٩٣ وعددها ١٠١.

جـ – الرباعيات التى نظمها حالى من عام ١٨٩٣م حتى ١٩١٤ وعددها ٥٢.

وذكر الدكتور شجاعت على سنديلوى فى كتابه(٣) حالى بحثيث شاعر «أن عدد رباعيات حالى ١٠٣ رباعية، ١٥٠ منها فى كليات نظم حالى المجلد الأول ترتيب الشيخ إسماعيل پانى پتى والثلاث رباعيات الأخرى قالها حالى فى خدمة النواب محسن الملك.

---

(١) افتخار صديقى: كليات نظم حالى، جـ١ ، ص٤٩.

(٢) افتخار صديقى: المرجع السابق من ص ٢١٦ حتى ٢٥٢.

(٣) شجاعت على سنديلوى: حالى بحيثيث شاعر ص ٢٣٤.

ثقافة حالي

١- الثقافة العربية والفارسية:

تنوعت ثقافة حالي طبقا لتعدد مصادرها المختلفة فقد كان عارفا ببعض لغات الهند المحلية وآدابها إلي جانب لغته الأصلية اللغة الاردية والذي كان أحد أعلام أدبها البارزين، وكان يتقن اللغة الفارسية التي كانت آنذاك لغة خاصة المثقفين فضلا عن كونها لغة الدواوين الحكومية إبان حكم الإمبراطورية المغولية للهند، كما تعلم حالي اللغة العربية منذ صغره وحفظ بها القرآن الكريم وقرأ كتب الفقه والتفسير والنحو والصرف المختلفة علي شيوخ عصره.

وكانت هذه المرحلة من حياة حالي الممتدة منذ ولادته حق قبيل اندلاع ثورة التحرير عام ١٨٥٧م تتسم بالثقافة الإسلامية الخالصة والتي ألفته لنظم الشعر وكتابة المقالات باللغة الأردية والعربية والفارسية وكان من أشد المدافعين عن هذه الثقافة حتي أنه كتب «مقدمة شعر وشاعري» من أجل إقامة علم النقد في الشعر الإسلامي علي أساس أخلاقي ولأول مرة في الأردية وذلك بتأثير الثقافة الإسلامية.

وكان حالي قد بدأ في حفظ القرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره علي عادة أهل عصره فيقول: «في البداية حفظوني القرآن الكريم.. ثم تشوقت لدراسة اللغة العربية، وما هي إلا أيام قليلة حتي جاء مولوي حاجي إبراهيم حسين الأنصاري من لكناؤ بعد أن نال إجازة الإمامة فقرأت عليه النحو والصرف العربي (١) وأتم حالي حفظ القرآن علي يد مولوي ممتاز حسين وكان من علماء پاني پت وواصل حالي اطلاعه علي الثقافة العربية أيضا عندما ذهب إلي دهلي قرابة سنة ونصف وقرأت علي مولوي نوازش علي بعض الكتب في النحو والصرف وبعض الكتب الأولية في المنطق (٢). ودرس حالي في هذه الفترة في مدرسة «حسين بخش» وتمكن من إتقان اللغة العربية حقه أنه كتب أول رسالة له بهاو هي في تأييد نواب صديق حسن خان وعندما عرضها علي أستاذه نوازش علي قام بتمزيقها لأنها مخالفة لمذهبه الحنفي. وقد نقل خواجه غلام الثقلين في إحدي

---

(١) حالي: ترجمة حالي ص ٣٣٤.

(٢) حالي: المرجع السابق. نفس الصفحة.

مقالاته هذا القول الذي اعترف به أستاذ حالي وهو أنه ، علي الرغم من أن الرسالة كانت قد كتبت بعناية فائقة غير أنها كانت في تأييد أحد الوهابيين لهذا خرقتها » (١).

وفي هذا اعتر اف بجدة الرسالة التي كتبها حالي باللغة العربية في هذا السن المبكرة فلم يكن قد تجاوز العشرين من عمره بعد، وبعد ذلك ترجم حالي كتابا في علم طبقات الأرض من العربية إلي الأردية وذلك في سنة ١٨٦٨م.

وكان حالي واسع الثقافة غذير المعرفة قرأ علي مشاهير عصره فيقول في ترجمته في أثناء إقامته في پاني پت بعد فشل الثورة « كنت أقرأ في هذه الفترة علي مشاهير پاني پت وعلمائها مثل مولوي عبدالرحمن ومولوي محب الله ومولوي قلندر علي بعض الكتب بدون ترتيب أو نظام فأحيانا في المنطق والفلسفة وأحيانا في الحديث والتفسير وكنت أقرأ بنفسي الكتب التي لم أقرأها من قبل خاصة عندما لا يكون أحد هؤلاء العلماء في پاني پت وبصفة خاصة كتب علم الأدب التي كنت كثيراً ما أنظر إليها بمساعدة المعاجم والشروح وأحيانا كنت أكتب نثراً وأنظم شعراً بالعربية بدون أي إصلاح أو نصيحة. (٢) ويعترف الدكتور غلام مصطفي خان بثقافة حالي فيقول: « قام حالي بأعمال كثيرة أثناء إقامته بلاهور فقد انقضي من عمره خمسة وثلاثون عاما وصاحب النضج العقل هذا نضج عملي وعلمي بصورة جيدة ولم يكن الشعر والنثر العربي والفارسي والأردي مجرد تدريب فقط بل ظهرت استاذيته بمهارة فائقة » (٣).

وقد نظم حالي عدة قصائد باللغة العربية وأول هذه القصائد نظمها حالي عام ١٨٦٧م وهي القصيدة البائية في مدح شاه عبدالغني (المتوفي عام ١٢٩٥هـ) ومطلعا:-

هوي الحور بلوي كل حبر ونادب وفتنة قسيس وزلة راهب

وفي هذ القصيدة التي يمدح فيها شاه عبدالغني يهب منها نسيم الصحراء العربية وقد بدأها بطريقة جذابة لطيفة ولكن حالي انصرف عن النظم باللغة العربية بعد ذلك بسبب مرضه ومع ذلك يوجد في قصائد العربية طريقة الشعراء العرب وخصوصيات

---

(١) حالي: كليات نظم حالي جـ ١. ص ٦.

(٢) حالي : ترجمة حالي. ص ٣٣٦.

(٣) غلام مصطفي خان: حالي كاذهني ارتقا ص ٢٩ - ٣٠.

القصيدة العربية ففيها يظهر باضطراب ديار سلمي وحادثات الدهر وغيرها من الموضوعات التي يتناولها الشاعر العربي في قصيدته. (١) وأرسل حالي قصيدته إلي الشاه عبدالغني في المدينة المنورة فأعجبته و«استحسنها بعض أدباء المدينة المنورة لما فيها من البراعة والفصاحة» (٢).

وكان حالي ملماً بثقافة عربية واسعة وكان مغرماً بالشعر العربي وأعجب بشعر المراثي خاصة حتي أنه طلب من مولوي حكيم محمد وحيد الدين أن ينظم قصيدة في رثاء مسلمي الهند حتي ينهضوا من حالة التأخر والجمود فنظم قصيدة طويلة في مائة وسبعة عشر بيتاً باللغة العربية وألقاها علي حالي فسعد بها وطلب منه أن يطبعها فوراً فوافق بشرط أن يقوم حالي بترجمة القصيدة إلي اللغة الأردية نثراً ونشرت القصيدة والترجمة الأردية في كتاب واحد في رمضان ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ومطلع هذه القصيدة التي يعارض بها قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الاندلس:-

هل من سبيل إلي وصل الألي بانوا ... بيني وبينهم بيد وقيعان

أو للزمان رجوع بالوصال إذا ... كانت له كالرحي في الدور أحيان(٣)

وبالإضافة الي هذه الترجمة النثرية للقصيدة العربية التي تدل علي تمكن حالي من اللغة العربية والتي نظم بها شعراً وكتب بها نثراً وترجم منها إلي اللغة الأردية كتاباً في علم طبقات الأرض وترجم الأشعار العربية إلي الأردية مثل ترجمته لعدة أشعار من نظم الإمام علي بن أبي طالب يحكي فيها أحداث الهجرة النبوية من مكة إلي المدينة وأثبت حالي بهذه الأبيات التي ترجمها له في ٣٠ نوفمبر ١٨٨٦م عدم تعصبه ضد المذهب الشيعي ومطلع هذه القصيدة:

وقيت بنفسي خير من وطيء الحصي ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول الله خاف أن يمكروا به ... فنجاه وفي حفظ الإله وفي ستر.

وكان حالي واسع الثقافة كثير الاصلاع علي الكتب العربية في النقد والأدب والشعر

---

(١) حالي: كليات نظم حالي. جـ ١، ص ٥٠١.

(٢) غلام مصطفي خان: حالي كاذهني ارتقا: ص٢٨ - ٢٩.

(٣) حالي: ضميمة كلام عربي، ضمن كليات نظم حالي. جـ ٢) ص ٣٥٤ - ٣٣٥.

وقد تأثر حالي بهذه الكتب كثيراً في صياغة أول كتب في النقد الأردي يتحدث عن محاسن الشعر ونقده وهو كتاب «مقدمة شعر وشاعري». كما استخدم حالي كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأمثال العربية والأقوال المأثورة في كثير مما يدل علي تشعب ثقافة حالي العربية الإسلامية.

وبالإضافة إلي اللغة العربية كان حالي يتقن اللغة الفارسية التي كانت لغة الثقافة في عصره ولا غني عنها لأي مثقف آنذاك ويقول حالي : «بدأت أقرأ علي سيد جعفر بعض الكتب الفارسية الأولية وكان يقيم باني پت وله اليد الطولي في الطب والتاريخ وفي الأدب الفارسي وفي صحبته نشأت بيني وبين الأدب الفارسي علاقة من نوع خاص»(١).

وقرأ حالي بعد ذلك كتب الأدب وتذاكر الشعراء الفرس ودواوين حافظ وسعدي وتأثر «ببوستان» و«گلستان» سعدي والذي كتب عنه كتاب «حيات سعدي» بالأردية وقام فيه بشرح أشعاره وبيان مواطن جمالها المختلفة وكتب حالي عدة كتب في النحو والصرف الفارسي فيقول «كتب بعض الكتب في قواعد اللغة الفارسية»(٢) ومن هذه الكتب علي سبيل المثال «أصول فارسى» و«آل نامه» ولكنه لم يكمل الأخير وهو تجربة جديدة في اللغة الأردية كان يضيف «آل» التعريف علي الكلمة الفارسية ليخلق منها معني جديداً علي سبيل السخرية والنقد. وقد تمكن حالي من اللغة الفارسية وأتقن نحوها وصرفها ويبدو ذلك جليا في نظمه لبعض الأشعار الفارسية والمناقشات التي كانت تدور بينه وبين أستاذه غالب علي شرح بعض أشعار ديوانه الفارسي وهذا ليس غريباً علي مثقف وأديب وشاعر مثل حالي فقد كانت اللغة الفارسية هي لغة البلاط المغولي ولغة المثقفين ورجال العلم فضلاً عن كونها لغة الشعر والأدب قبل اتجاه الشعراء الهنود لنظم الشعر بالأردية.

وكتب حالي موضوعات متعددة في النثر الفارسي وكذلك نظم شعراً بالفارسية يقول حالي : «يوجد لي شعر فارسي كثير.. وكان آخر شعر لي بالفارسية قصيدة في قالب «تركيب بند» نظمتها في عام ١٩٨٩م في رثاء سير سيد أحمد خان (٣) وقد اعتنى حالي بما كتبه ونظمه باللغة العربية والفارسية وقام بترتيبه في آخر حياته وطبعت بعد

---

(١) حالي : ترجمة حالي. ص ٣٣٤.

(٢) حالي: كليات نثر حالي. حـ ١ ص ٣٤٣.

(٣) حالي: ترجمة حالي. ص ٣٤٣.

وفاته في أغسطس ١٩١٤م باسم «ضميمة» أردو كليات نظم» (١) كما قام بنشر وتصحيح كتاب «سفر نامه حكيم خسرو». وكل هذا يدل علي ثقافة حالي العربية الإسلامية الأصيلة ومعرفته للغات والآداب الإسلامية متمثلا في اللغة العربية والفارسية وآدابهما، وعقيدته ورسوله الكريم مثل «ترياق مسموم» وغيرهما من كتب المستشرقين والمبشرين فضلا عن المقالات التي كانت تنشر له من حين لآخر في الجرائد والمجلات المختلفة في جميع أنحاء شبه القارة الهندية في موضوعات إسلامية مختلفة.

٢ - الثقافة الانجليزية:

أخذت الثقافة والحضارة الغربية في التغلغل في شبه القارة الهندية مع بداية عصر الكشوف الجغرافية لسواحل الهند وبدأ الهنود يطلعون ولأول مرة علي هذه الثقافة الجديدة والتي لم يتعد تأثيرها عن بعض الحصون والثغور علي شواطئ الهند ولم تتسلل هذه الثقافة إلي مدن وأقاليم شبه القارة الداخلية نظراً لسيطرة الثقافة الإسلامية علي بلاط المغول، ولكن مع نهاية القرن الثامن عشر بدأت الأمبراطورية المغولية في الانهيار واحتلت بريطانيا معظم مدن الهند وأقاليمها وبدأت بنشر الثقافة الانجليزية وفتحت المدارس المختلفة لتنفيذ هذا الغرض وكانت مهمة نشر هذه الثقافة موكلة إلي اللورد ميكالي الذي اجتهد كثيراً في نشر الثقافة الغربية بين المسلمين خاصة. وكانت هذه الفترة بداية حضارة جديدة ونهاية حضارة قديمة وازداد الصراع بين القديم والحديث وبين التراث والمعاصرة وأنشأ الانجليز كلية «دهلي كالج» لتدريس العلوم العصرية.

وكان حالي ينفر من تعلم هذه اللغة لأنها كانت لغة المستعمر الذي قضي علي الدولة الإسلامية في الهند ويملك حالي حالي سبب كراهيته للغة الانجليزية وعدم رغبته في تعلمها فيقول: «علي الرغم من أن دهلي كالج القديمة كانت في أوجها إلا أنه في المجتمع الذي نشأت فيه «يقصد بلدته پانى پت» كان يعتبر العلم منحصرا فقط في اللغة العربية والفارسية وفي البداية لم أسمع في مكان ما ذكرا للتعليم الانجليزي وبصفة خاصة في پاني پت وأن الفكرة التي لدي بعض الناس عنه بسبب خدمة الحاكم الانجليزي فقط ولم أحصل أي علم من هذا التعليم الانجليزي فقد كان علماؤنا يطلقون علي

---

(١) حالي: كليات نثر حالي. ح ١ ص ٣٤٣.
- حالي: كليات نظم حالي. ح ١ ص ١٥.

المدارس الانجليزية اسم «المجهلة» أي مكان الجهل «(١) وقد ظل حالي علي مبدئه هذا من النفور من اللغة الانجليزية ومن الذي يتعلمها طوال فترة إقامته في پاني پت وحتي في المرحلة الأولي من إقامته في دهلي بعد رحيله إليها لإكمال تعليمه وقد إختار أيضا المدارس التقليدية فاختار «مدرسة حسين بخش» الواقعة بجوار مسجد دهلي الجامع وكان يقيم فيها أيضا.

ويصف حالي حياته في دهلي فيقول: بعد ما وصلت إلي دهلي وفي المدرسة التي كنت أقيم فيها ليلا ونهاراً، كان الناس هناك يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا في الكلية مجرد جهلة، المهم لم أفكر في التعليم الانجليزي وبقيت في دهلي لمدة عام ونصف وفي هذه الفترة لم أذهب لرؤية هذه الكلية ولم ألتق بالطلبة الذين كانوا يدرسون فيها في ذلك الوقت أمثال مولوي ذكاء الله، مولوي نذير أحمد، ومولوي محمدحسين آزاد وغيرهم (٢).

وظل حالي علي هذا الوضع من تجاهله للغة الانجليزية وآدابها حتي توفي مصطفي خان شيفته سنة ١٨٦٩م وكان حالي مقيماً عنده في جهانگير آباد ويقوم بالتدريس لأولاده فترك حالي جهانگير آباد ورحل إلي لاهور ويصف حالي ذلك بقول: «بعد وفاة شيفته وجدت وظيفة في المكتبة الحكومية في البنجاب «لاهور» وكان عملي فيها هو تصحيح العبارات الأردية في الكتب الأردية المترجمة عن اللغة الانجليزية وبقيت في هذا العمل في لاهور قرابة أربع سنوات وبدأت تنشأ بيني وبين الأدب الانجليزي علاقة وبالتدريج بدأ يقل عندي التقدير للأدب الفارسي بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة خاصة والآداب الشرقية بصفة عامة» (٣).

وكان لهذه الوظيفة الجديدة دخل كبير في تغيير اتجاه حياة حالي وتفكيره فقد ا طلع علي الأدب الانجليزي المترجم وظل يمارس هذا العمل نحو أربعة أعوام وبهذه القدرة العجيبة أكمل نقص عدم القدرة علي قراءة اللغة الانجليزية ووقف حالي علي كثير من معاني وموضوعات كتب اللغة والأدب الانجليزي واطلع حالي علي كتب كثيرة في اللغة الانجليزية وآدابها والآن فقط بدأ تظهر عليه كثير من الأفكار والمواهب التي كانت دفينة

---

(١) حالي : ترجمة حالي: ص ٣٣٥.

(٢) حالي: ترجمة حالي : ص ٣٣٥.

(٣) حالي : المرجع السابق : ص ٣٣٩.

في أعماق عقله وتفكيره لم يستطع أن يبرزها بشكل واضح، واتضحت له حقائق كثيرة بدراسة الأدب الانجليزي ويعترف حالي بأن قراءته لكتب ا لأدب والنقد الانجليزي فتحت عينيه علي حقائق كثيرة وقضايا في الأدب والحياة وعرف أن الأدب وسيلة لخدمة الإنسان والمجتمع وليس مجرد متعة وقتية، و عرف بذلك المكانة الصحيحة للأدب وكيفية خدمة المجتمع بطرق عديدة وتزايد هذا التأثير تدريجيا يوماً بعد يوم وبدأت ميوله تتحول تجاه الأدب الانجليزي كما تأثر باللغة الانجليزية ولذلك كان يستخدم في نثره ألفاظا انجليزية بدون تكلف واستعمل بعضها أيضا في الشعر(١).

ورغم ذلك ظلت معرفة حالي واطلاعه علي الثقافة الغربية محصوراً في دائرة اطلاعه علي الكتب الانجليزية المترجمة إلي الأردية وذلك بحكم عمله في مكتبة جامعة البنجاب، بالاضافة إلي تأثره ببعض مفردات اللغة الانجليزية نتيجة اختلاطه بالسير سيد وملازمته إبادة واستعمل حالي كذلك الكلمات التي كانت تتردد علي ألسنة المثقفين في ذلك الوقت ومنهم رفاق السيرسيد والمؤيدين لحركته ومنهم بصفة خاصة نذير أحمد ومحمد حسين آزاد.

واحتفظ حالي بثقافته الشرقية الإسلامية ولم ينجرف في تيار ثقافة الغرب مثل أغلب رفاق السيرسيد، وعلي الرغم من أن أشعار حالي الجديدة تلتقي مع الشعر الغربي في كثير من الصفات لكنه لم يزعم قط أنه يستطيع تقليد الشعر الغربي بشكل كامل وقد اشتهر حالي بنظمه أشعارا علي الطريقة الجديدة في الشعر الأردي إلا أن خصائص هذا الشعر الجديد كانت تقوم في أكثرها علي قواعد الشعر القديم ولم يبد فيها تقليده ومحاكاته بل يتجلي فيها اجتهاده وفرديته وشخصيته المميزة (٢) وقد اعترف حالي بهذا الأمر في مقدمة مجموعة نظم حالي فيقول: «لم أكن أعرف قواعد الشعر الغربي في ذلك الوقت (أثناء إقامته بلا هور) ولا أعرفها الآن وأري أن لغة نامية مثل الأردية لا تستطيع أن تحاكي الشعر الغربي وتقلده بطريقة كاملة وكل ما هنالك أنني كنت بطبيعتي أنفر من المبالغة والإغراق في الخيال، وليس في شعري ما يدل علي تقليدي للشعر الانجليزي والخروج علي الشعر القديم (٣) وفي قول حالي هذا رد مقنع علي من حاول أن يعزو التجديد في شعر حالي ومحاولته لكتابة كتاب في نقد الشعر وإحداثه

(١) صالحة عابد حسين: يا دگار الي. ص ٣٩

(٢) صالحة عابد حسين : يادگار حالي. ص ٢٣٦.

(٣) حالي : كليات نظم حالي. ج ١ ، ص ٥٣.

تغيرات جذرية في فنون الشعر الأردي من ناحيتي الشكل والمضمون إلي تأثره باللغة الانجليزية وآدابها وشعرائها ونقادها، والحق أن حالي قد اعترف أكثر من مرة[1] بأنه لا يعرف اللغة الانجليزية ولذلك كان كثيراً ما يخطئ في استعمالها الصحيح ومما يدل أيضاً علي ثقافة حالي الإسلامية واهتمامه بآدابها الأردية والفارسية والعربية محاولته لكتابة كتاب في نقد هذه الآداب وهو «مقدمة شعر وشاعري» وما أمتلأت به هذه المقدمة من قصص وأمثلة وشواهد شعرية عربية وفارسية ما يؤكد علي صدق كلامنا وهو أن الثقافة الإسلامية راسخة متأصلة في فكر حالي وثقافته.

(١) حالي : كليات نثر حالي: ج٢، ، ص ١٢١ ، ٢٣٨، ٢٦٨.

obeikandl.com

شخصية حالي

تميزت شخصية حالي بالبساطة والتواضع الشديد والتمسك بتعاليم الدين الحنيف ونبذ البدع والخرافات وقد حفظ القرآن الكريم وهو في الرابعة من عمره واطلع علي كثير من الكتب الدينية في الفقه والشريعة وعلم الحديث وقد أثرت هذه الثقافة الدينية في شخصية حالي فكان محبًا للخير، راغبآ في الإصلاح، يتفاني في عمله لخدمة الجميع صغيرآ وكبيرًا وكان يتأثر سريعاً بالأحداث التي تدور حوله في المجمع الهندي في ذلك الوقت فتجيش قريحته بالقصائد المؤثرة وبالمقالات القوية.

وهناك شخصيات عديدة أثرت في شخصية حالي وفي شعره وفي طريقة تفكيره وأهم هذه الشخصيات هي:

١ - ميرزا أسد الله غالب:

وهو أستاذ حالي الذي تتلمذ في قرض الشعر علي يديه وكان حالي كثيرًا ما يفخر بذلك وغالب هو أمير شعراء الأردية علي الإطلاق وقد تأثر حالي كثيرًا بأسلوب وطريقة شعره وتعلم منه أسرار القريض، يقول حالي في ترجمته: «في الوقت الذي كنت أذهب فيه إلي دهلي كنت كثيرًا ما أختلف إلي مرزا أسد الله خان غالب لأسأله عن معاني أشعار ديوانه الفارسي والأردي والتي لم أكن أفهمها وكنت أقرأ عليه بعض القصائد الفارسية من ديوانه وكان من عادته منع أكثر المترددين عليه في التفكير في نظم الشعر ولكن بالنسبة لي عندما كنت أنظم غزلية فارسية أو أردية وأعرضها عليه كان لي: «مع أنني لا أشير علي أحد بالتفكير في نظم الشعر إلا أنني أعتقد بالنسبة لك إذا لم تقل الشعر فإنك سوف تظلم نفسك ظلمًا عظيما (١). وهذا اعتراف من حالي بتلمذته في الشعر علي يد غالب لكنه مع ذلك لم يتأثر بشخصيته ولم يؤثر شخصية غالب فيه، ففي الوقت الذي كان فيه غالب صديقا وأستاذا لحالي وتوثقت عري الصداقة بينهما وكان حالي في مرحلة شبابه والتي تغلب عليها الاتجاه الديني وكان يتضايق كثيراً عندما يري أستاذه يواظب علي شرب الخمر ورغم شيخوخته وأحيانا ينسي الصلاة، فتألم حالي لذلك وكتب له عدة رسائل يحثه فيها علي ضرورة إقامة الصلاة ويقول له: «التزم

(١) حالي: ترجمة حالي ص ٣٣٧.

بالمحافظة علي الصلوات الخمس بقدر ما تستطيع واقفاً أو جالساً أو بالإشارة وإن لم تستطع الوضوء فتيمم صعيداً طيباً لكن لا تترك الصلاة «وقد وصل لغالب في هذه الفترة مئات الخطابات تتهمه بالكفر وكان بعضها يصل الي حد الشباب ولم يحفل غالب بها ولكنه صدم وتأثر بخطاب تلميذه حالي وأبدي حزنه وألمه.

وفي اليوم التالي أرسل لحالي قصيدة غزل يشتكي من هذه النصيحة فأرسل له حالي قصيدة علي سبيل الاعتذار يبدي فيها ندمه وأسفه وقبل غالب اعتذاره فقد كانت شكوي غالب من حالي مبنية علي الحب والتقدير واعترف حالي بخطئه وهذا من شيم كرام الناس وأعزاء النفوس (١)، وقدذكر حالي هذه الواقعة بالتفصيل في كتابة «يا دگار غالب» الذي كتبه وفاء لذكري أستاذه بين فيه حياته وشرح شعره وأظهر محاسنه.

٢ - نواب مصطفي خان شيفته:

وهو من الشخصيات التى تركت بصماتها واضحة فى شخصية حالى وقد تأثر حالى به كثيراً وكان شيفته من الشخصيات الكبيرة وهو شاعر وأديب صنف تذكرة فى حياة شعراء الأردية هى «گلشن بے خار» وتقابل حالى بشيفته بعد الثورة وفى عام ١٨٦٣م ويقول حالى فى ترجمته (بعد الثورة التقيت بمصطفى خان شيفته رئيس دهلى وجهانگير آباد وكان شاعراً من الطبقة الأولى ومتذوقًا جيداً للشعر تخلص بشيفته فى الأردية وبحسرتى فى الفارسية فتعارفنا وتصاحبنا وبقيت عنده ثمانى سنوات، وكان شيفته يعرض أشعاره على مؤمن خان وبعد وفاته كان يتناقش مع مرزا غالب. وبذهابى إلى هناك عنده بدأت أتشوق للشعر والنثر القديم وقد كنت لفترة حزينًا فصرت نضراً مسروراً ومال طبعى لنظم الشعر مشبوبًا بالرغبة والعاطفة حتى صقلت قريحتى بصحبته وفى ذلك الوقت نظمت معظم الغزليات الفارسية والأردية عند نواب مصطفى خان شيفته وكنت أرسل أشعارى إلى ميرزا غالب وأنا عنده فى جهانگير آباد، وفى الحقيقة لم أستفد كثيراً من نصائح مرزا غالب بالقدر الذى استفدته من مصاحبة شيفته فقد كان يكره المبالغة فى الشعر ويعتبر أن أجود الشعر ما يعبر عن الواقع بصدق وبساطة والتزام بحسن العرض وتجنب الألفاظ السوقية الدنيئة والأفكار والعبارات العامية»(٢).

---

(١) حالى: المرجع السابق صـ ٣٦-٣٨.

قام حالى بجمع رسائل نواب مصطفى خان شيفته وبجهوده صارت فى كتاب (انظر: خليل الرحمن داوودى - مقدمته على يادگار غالب صـ٢٩.

(٢) حالى: ترجمة حالى صـ٣٣٧-٣٣٨.

وهذا اعتراف من حالى بتأثير شخصية شيفته عليه وعلى ذوقه الشعرى، وكان شيفته قد دعاه إلى جهانگير آباد وسلم إليه مهمة تعليم أولاده وظل عنده ثمانية أعوام حتى توفى شيفته ١٨٦٩م وكان حالى يتردد كثيراً إلى دهلى بصحبته ويتشاورا مع مرزا غالب(١) وقد اعترف حالى بتأثير كل من غالب وشيفته على شخصية فى بيت شعر يقول:

حالى سخن مين شيفته سے مستفيض هون ∴ شاگرد ميرزا كا مقلد هون ميركا(٢).

٣ - السير سيد أحمدخان:

لم يتعد تأثير شيفته وغالب فى حالى عن الناحية الأدبية وقرض الشعر ولكن السير سيد أحمد خان أحدث تغيرات هائلة فى شخصية حالى فقد وجهه لأول مرة إلى الاهتمام بالقضايا الوطنية والقومية فى شعره وأن يجعل الشعر وسيلة لإصلاح المجتمع والنهوض بالمسلمين فى الهند وقد اعترف حالى بفضل السير سيد عليه فى ترجمته فيقول: «لقد شجعنى السير سيد بنظم الشعر الذى يوضح حال الضعف والذل الراهنة للمسلمين فنظمت مسدس «مد وجزر إسلام» وأشعاراً أخرى(٣). وكان عام ١٨٧١م هو بداية الروابط العقلية لحالى بالسيد أحمد خان وحركته والدليل على هذا فى موضع لحالى بعنوان «سيد أحمد خان أوران كے كام(٤) أى سيد أحمد خان وعمله وقد نشر فى هذه السنة فى مجلة معهد على گرطه وقد انحاز حالى إلى حركة گرطه بشكل مستقل عام ١٨٧٥م بعد وصوله إلى دهلى وبدأ يكتب فى مجلتى «تهذيب الأخلاق» و«مجلة معهد على گرطه، وفى هذه السنة وضع حالى أساس الشعر القومى بقصيدته «مباركباد»(٥) التى نظمها بمناسبة حفل افتتاح مدرسة العلوم بعلى گرطه فى ٢٤ مايو ١٨٧٥م(٦) وقد تأثر حالى كثيراً بلقاء السير سيد وبشخصيته القوية وسيرته العظيمة وهدفه السامى وأصبح حالى مع السير سيد قلباً وقالباً وأوقف كل نفس من سنوات عمره

---

(١) الترجمة: لقد استفاد حالى كثيراً فى شعره بشيفته، وهو تلميذ غالب ومقلداً لمير (انظر: حالى: يادگار غالب ص٢٠) و(بابورام سكسينه: تاريخ ادب ارد و ص٣٠٧).

(٢) حالى: ترجمة حالى ص٣٤٠.

(٣) حالى: ترجمة حالى ص٣٤٠.

(٤) كليات نثر حالى: جـ١. ص٣٤٩.

(٥) حالى: كليات نظم حالى: جـ١: ص٢٩٠ وص١٢.

(٦) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا ص٤٥.

لهذا الهدف وأمره بنظم المسدس الذى وضح فيه تدهور أحوال المسلمين والسبيل إلى النهوض بهم وقد تاثر السير سيد بقراءة مسدس حالى ووضح ذلك فى خطابه لحالى فيقول باسلوب سلس ممتع: «لو أننى أقر بأن المسدس هو بداية تاريخ جديد فى فن الشعر الأردى لكان ذلك حقًا، فبأى صفاء وجمال وسلاسة نظم هذا الشعر الذى يفوق الوصف ومن العجيب حقًا أن هذا الموضوع الواقعى خال من المبالغة والكذب ومن التشبيهات البعيدة عن التكلف وهو فخر للشعراء لأنه منظوم بطريقة مؤثرة وأسلوب واضح جميل، فلا تستطيع أن تقرأ فى المسدس بلا عين باكية، وصحيح أن الكلام الذى يخرج من القلب يستقر فى القلب، فلا شك أننى المحرك والدافع له على نظم المسدس وأعتبره من أعمالى الحسنة ولما يسألنى الله تعالى ماذا أحضرت؟

فإننى سأقول لقد جعلت حالى ينظم المسدس ولا شى غير ذلك(١).

وكان حالى من أشد المؤيدين لحركة گرطه ومن الشخصيات البارزة القريبة من السير سيد وقد كتب عدة(٢) مقالات حول حركته وجهوده الإصلاحية فضلاً عن كتاب «حيات جاويد» وهو فى حياة السير سيد وأعماله، وقد كان حالى من أقطاب الحركة التعليمية واشترك فى الندوات والمؤتمرات التى عقدت لبحث الحالة التعليمية للمسلمين فى الهند وشارك خاصة فى مؤتمر التعليم الإسلامى «محمدطن ايجوكيشنل كانفرانس» الذى أقامة السير سيد لدعوة المسلمين إلى الإقبال على تعلم العلوم الغربية ورأس الجلسة المنعقدة فى كراچى عام ١٩٠٧م(٣)، وكتب حالى قصيدة فى مدرسة العلوم التى أنشأها السير سيد وكان يسافر مع السير سيد فى أسفار بعيدة لجمع التبرعات لكلية على گرطه، ويوجه النصائح إلى طلابها(٤) وقد مدح حالى السير سيد بهذه القصيدة:

---

(١) من خطاب السير سيد لحالى بتاريخ ١٠ يونيه ١٨٧٩م ونشر هذا الخطاب فى مجلة على گرطه فى يناير ١٩٣٩م.

(٢) كليات نثر حالى: ١/٣٨٧، ٣٩٤، ٤٣٢، ٣٤٩، ٤٣٢، ٣٤٩-٣٥٧-٣٥٨، ٣٨٤.

(٣) المرجع السابق جـ٢، ٢/١٢١ - ١٤٨، ٤٩، ٧٣.

(٤) المرجع السابق جـ٢-٢٨.

- پنهان نهين هے ياروسب پر كهلاهوا — جو حال آج اپنا اوراپنى قوم كاهے
- هے اك لكير باقى جس پرفقير هيں هم — خود سانپ ورنه يان سے كب كانكل گياهے
- اس پربهى اے عزيزوا هے جاے فخر تم كو — دينون مين دين بيضا حق نے تمهين دياهے
- قبله هے وه تمهارا جوگهر هے سب سے پهلا — هادى هے وه تمهارا جوخاتم انبيا هے
- دى هے وه مصلح كل حق نے كتاب تم كو — جس نے شريعتون كوشير وشكر كيا هے
- بخش تمهين حكومت حكمت تمهين عطاكى — دوران سدا موافق تم سے نهين رها هے =

– الحالة التى نحن فيها والأوضاع التى يمر بها قومنا، ليست فى خفاء يا أصدقاء بل الجميع يعرفونها.

– فهناك أثر خط نحن متمسكين به، أما الحية فقد مرت من ذلك المكان منذ زمن بعيد.

– ومع هذا كله أيها الأصدقاء فمن مبعث فخركم، أن الله تعالى منحكم دينا نقيًا أبيضًا من بين الأديان.

– وأن قبلتكم هى أول بيت (من بيوت الله)، ورسولكم الهادى هو خاتم الأنبياء.

– منحكم الحكومة واعطاكم الحكمة، لكن لم يبق الزمن فى حقكم دائمًا.

– وعندما ساءت حالتكم فى الفترة الأخيرة، أقام هاشميًا بينكم مصلحًا.

– يريد الازدهار للقوم فى هذا العالم، مع أن القوم قد أفتوا بكفره.

– فقد ضحى بكل ما لديه، من وقته وعمله وروحه وماله لأصدقائه.

– القوم يهجمون عليه وهو درعهم الواقى، والناس يسيئون به الظن وهو يضحى بنفسه من أجلهم

– فقدم الكثير من ماله وقلمه وكفاحه، فمن ذا الذى يستطيع أن يفعل مثلما فعل.

– لم نسمع ولم نر أحداً مثله بين حماه القوم، فقد ورث هذا الألم عن جده.

– وهو الذى أسس لكم تعليمكم، الذى بلغ فى جميع أنحاء العالم.

– فقولوا من أنجز عملاً (مثل هذا) بعد القرون الأولى، يضارع ما انجزه السير سيد من الأعمال للقوم(١).

= – اس دور اخرى مين جب يون بگڑ چلے تم — اک هاشمى تمهارا مصلح كهڑا كياهے
– سر سبز چاهتاهے جو قوم كوجهان مين — فتون سے قوم كى گوكافر ٹهہر چگاهے
– وقت اپنا كام اپنا جان اپنى مال اپنا — ياورن يه جس نے سب كچهہ قربان كرديا هے
– واراس په قوم كے هين وه قوم كى سپرهے — قوم اس سے بد گمان هے وه قوم پرفدا هے
– در هم سے اور قلم سے دم سے قدسے اپنے — جو كچهہ كياهے اس نے وه كس سے هوسكاهے
– همدرد قوم ايسا هم نے سنانه ديكها — يه درس اس كوجد كى ميراث مين ملاهے
– تعليم كى تمهارى بنيادا س نے ڈالى — ملكون مين جس كاچرچا هرسمت هورياهے
– بعد ازقرون اولى كس نے كيا بتاوء — سيد نے كام اكثر جو قوم مين كياهے

(١) حالى: كليات نظم حالى: ١/٢٦٨).

وعندما مات السير سيد رثاه حالى رثاءاً حاراً بهذه القصيدة الفارسية :

- يا لهفى من هذا السهم الصائب الذى أطلقوه من قوس (الموت)، ويا حسرتاه على الجرح الذى ترك القوم بين الحياه والموت.

- ويا عجبا على رحيل فرد من أفراد البشر، لقد تركوا العالم فى حالة ظن وترقب ليوم القيامة.

- ويا للعجب على موت رجل شيخ أكله الدهر، لقد أشاعوا الاضطراب والفتن بين الصغار والشباب والشيوخ.

- فيا عجبى على هذا الحزن المحرق على وفاة أحد المسلمين، لقد أضرموا النار فى نفوس الرجال من كل مذهب.

- قد كان السيد أحمد خان فى قومه كالنقود فى المحفظه، فبقيت المحفظه خاويه وأخذوا المال من بيننا.

- لقد ضاع من يد القوم كنز المجد والعلا، ثم دفنوا هذا الكنز فى التراب بعد ذلك.

- لا أمل أن يحل ربيع جديداً آخر فى حديقة القوم، فقد اختاروا لها الخريف الدائم.

- وكأنهم قد انتهوا بغارتهم علينا للأبد، فصبوا هذه المصيبة على رأس المسلمين.

- وأصبح أهل الدين بلا معين ولم يبق للدين من ينصره، وأوصلوا ندائهم هذا إلى جميع أرجاء الهند.

- لقد رحل وأخذ معه رونق مجتمع المسلمين، فضعفت الملة بموته ومات الإسلام بموته(١).

---

(١) آه ازين تيرگزا راكز كمان انداختند — آه كزيك زخم قومى نيم جان انداختند
- اى عجب كزر حلت فردى زافرادبشر — عالمى را ازقيامت درگمان انداختند
- اى عجب كزمردن يكپير مردسال خورد — تاب وتب دركودك وپير وجوان انداختند
- اى عجب كزسوز اندوه وفات مسلمى — مردم هركيش را آتش بجان انداختند
- سيد اندرقوم نقدى بودا ندركيسه — كيسه خالى مانده ونقد ازميان انداختند
- قوم راسرمايه مجد وعلا ازدست رفت — بعد ازان كاين گنج را درخاكدان انداختند
- نوبهار آيد درباغ قوم، اميدنيست — بعد ازوطرح خزان جاودان انداختند
- تاقيامت گونى ازتاراج ما فارغ شدند — كاين مصيبت برسرا سلاميات انداختند
- اهل دين بى ياور ودين بى كس وبى يا رماند — هرگه اين آوازه درهند وستان انداختند
- رفت وباخود رونق بزم مسلمانى ببرد — ملت ازمرگش بيژمرد ومسلمانى بمرد

وعلى الرغم من وجود وجهاء عظماء كثيرين فى دائرة نفوذ السير سيد أحمد خان إلا أن وضع حالى وسيرته كانت أسمى وأرفع من باقى رفاقه(١)، وقد اعترف السير بذلك فى إحدى خطبه، حيث يقول: «يجب علينا أن نشكر الله تعالى وأن نفخر بأن مثل هذا الشخص (حالى) موجود بيننا، وعندما يقال فى الأزمنة القادمة من فخر الشعراء والقوم والعلماء والمرشدين والمصلحين ومنقذ الأمة سيقال على الفور إنه الطاف حسين حالى»(٢).

وقد ظل حالى فى تأييده للسير سيد أحمد خان وحركته ولكنه لم يوافق على آرائه الدينية بصفة خاصة بعد تزايد المعارضين لها فى أنحاء الهند المختلفة، وكان حالى قد اختلف مع السير سيد حول تفسيره لبعض آيات القرآن لكنه لم يكن اختلافًا عميقًا، حتى أن حالى حاول بإخلاص أن يبعد سوء الفهم عن أفكاره الدينية وعرض لها بصدق فى مقالة «سير سيد أحمد خان اور مذهب»(٣). أى السير سيد والدين، وكرر هذه المحاولة أيضًا فى كتابه «حيات جاويد» وهو سيرة السيد سيد أحمد خان(٤).

وقد بارك حالى حركة السير سيد التعليمية وسلم بدورها البارز فى تقدم المسلمين فى الهند.

وكانت فلسفة حالى فى تقليد الغرب والغب من فيض علومه قائمة على المثل العربى الذى كان كثيراً ما يردده حتى فى نقد الشعر وهو «دع ماكدر وخذ ماصفا» فعلى الرغم من اعترافه بجمود العلوم القديمة إلا أنه لم يرفضها كلها بل كان يدعو إلى الاستفادة من العلوم الجديدة بالقدر النافع الذى يحفظ على المسلمين تقاليدهم ودينهم، لذلك نرى هذه الوسطية والاعتدال فى فكر حالى بصورة واضحة فلم ينجرف تمامًا إلى حركة على گرﻫ على حساب الحركات الإصلاحية الأخرى بل كان حالى ينشد الإصلاح بأى صورة ويغض النظر عن هؤلاء الأشخاص الذين يقومون بهذا الإصلاح، لذلك أيد حالى «ندوة العلماء» وكتب مقالاً عن نظام التعليم فى المدارس العربية عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٤م

---

(١) محمد إكرام: موج كوثر. ص١٢٣.

(٢) صالحة عابد حسين: بادگار حالى ص٥٩-٦٠.

- حالى: كليات نظم حالى: جـ١ ص٦٦.

(٣) حالى: كليات نثر حالى جـ١ ص٣٨٧.

(٤) حالى: حيات جاويد ص٩٣، ٩٤، ٩٥.

ولكنه لم يلقه بنفسه لمرضه[١]. ونظم قصيدة بمناسبة تأسيس دار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٠٨م[٢] نوه فيها بفضل التعليم الدينى وساند دعوة ندوة العلماء وبأهدافها الإصلاحية على الرغم من أنها كانت معارضة لحركة على گرھ وخاصة من الناحية الدينية وأيد حالى أيضًا جمعية المحافظة على الإسلام « أنجمن حمايت إسلام وألقى قصيدة للتنويه بأعمالها فى خدمة الإسلام[٣].

وامتاز حالى بحماسة وحميته الدينية ولذلك نراه يرد بقوة على المبشر، عماد الدين ويكتب سلسلة من الكتب فى الرد عليه وهى « ترياق مسموم » و« شواهد الإلهام » و« تاريخ محمدى برمنصفانه رائے » وكان حالى يميل إلى أفكار شاه ولى الله الدينية وأولاده من بعده وقد كان سنيًا كما يبدو من مقالاته التى كتبها فى الدين الإسلامى والعقيدة الحنيفة والتى لم يخالف فيها أهل السنة والجماعة، وكان يكره التعصب الدينى، وتميز بالهدوء والتسامح سواء مع أهل بيته أو مع من حاول التطاول عليه بالنقد والتجريح، ومن النادر أن يرد على الذين ينقدون أو يعارضونه وكان يحترم معارضيه وينفر من الكبر والغرور والزهو والتعالى على الناس وكانت له علاقات طيبة وصداقات من الشيعة والسيخ والهندوس وغيرهم. وحالى دقيق الشعور مرهف الحس سليم الذوق كريم الطبع، متواضع دمث الخلق كثير الإنصاف لمعاصريه وكان يكره الشهرة وحب الظهور ولذلك عندما قررت الحكومة منحه لقب شمس العلماء عام ١٩٠٤م تقديرًا لخدماته الجليلة ودون سعى منه واحتفل بهذه المناسبة فى جميع الدوائر العلمية والأدبية وانهالت عليه سيل خطابات التهنئة ومن ضمنها خطاب مولانا شبلى النعمانى الذى يقول فيه « أنا أهنئك أنت ولكن أهنىء لقب شمس العلماء فقد نال هذا اللقب الشرف والعزة بك « نرى حالى يضطرب لذلك ويرتبك ويبين ذلك فى خطاب لابنه خواجه سجاد حسين فيقول : « بالرغم من أننى قد نلت هذا التقدير من قبل الحكومة وهذا شيء عظيم إلا أننى أعتبره نقمة وأنت تعلم أننى لم التق بأى حاكم أو ضابط وكنت دائمًا بمعزل عن مثل هذه المناسبات لكن الآن عندما سيأتى أى حاكم إقليم فى پانى پت أو يتغير نائب حاكم المديرية فلا مفر من أننى سأذهب للقائه »[٤]. وهذا الخطاب يعكس

---

(١) حالى : كليات نثر حالى : ٢ / ٣٤-٤٧ .

(٢) حالى : كليات نظم حالى : جـ١ ص٣١٦-١١٨ .

(٣) حالى : كليات نظم حالى : جـ٢ ص٢٧٩-٢٨٧ .

(٤) صالحة عابد حسين: يادگار حالى ص٦١-٦٢ .

طبيعة حالى التى تنفر من حب الظهور والشهرة.

وكان حالى متواضعًا إلى أبعد درجة ولم يحاول أن ينسب لنفسه أيًا من الإصلاحات العظيمة التى قام بها فى الأدب الأردى أو الإصلاحات الاجتماعية فى المجتمع الهندى فعلى الرغم من أنه قام بإصلاحات كثيرة فى الشعر خاصة وراد حركة التجديد وقد اعترف بذلك النقاد إلا أنه ينسب هذا التجديد لمحمد حسين آزاد واعترف أكثر من مرة خاصة فى ديباجة مجموعة نظم حالى بأنه لم يفعل أى شيء جديد يستحق الذكر!!. وأن الشعر الجديد خارج عن نطاق قدرته، وكان كثيراً ما يشير إلى السير سيد بأنه أبو الأدب الأردى مع العلم أن حالى قدم للأدب الأردى أضعاف ما قدمه السير سيد وخاصة فى الشعر وفن التراجم. ويقول الشيخ محمد إكرام: «إن المثقفين يعرفون جيداً أن دور «مسدس حالى» فى نهضة المسلمين فى شبه القارة الهندية لا يقل بأى حال عن كلية على گرطه لكن طبيعة حالى المنطوية كانت تأبى أن تقر بهذه الحقيقة»(١). وعندما نشر مسدس حالى وذاعت شهرته فى أكناف الهند وأطرافها نرى حالى يكتب فى مقدمة الطبعة السابعة للمسدس: «على الرغم من أن نشر هذا الشعر لم يفد المجتمع بفائدة عظيمة «وهذه هى طبيعة حالى المتواضعة التى كانت دائمًا تفضل البقاء فى الظل والبقاء فى الصفوف الخلفية لأنه كان يكره أضواء الشهرة.

وتأثرت شخصية حالى أثناء إقامته فى دهلى بكل من شيفته وحكيم محمود خان وحكيم أجمل خان الذين كانوا يتميزون بالخصال الملائكية والسيرة النقية الطاهرة وكانوا أفضل مثال للمثل الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية فى حياتهم اليومية وكانوا نموذجًا صحيحًا لحياة الصحابة الكرام لكن لم يكن لأحد منهم ميزة التفانى فى خدمة القوم مثل حالى.

ولم تكن معاناة حالى وصدقه فى شعره نتيجة لاتباعه أى مدرسة أدبية معينة بل انعكاسًا لقريحته الشعرية الفريدة، وكان حالى من أسرة فقيرة وعمل موظفًا صغيراً عند نواب مصطفى خان شيفته لكنه كان له شأن عظيم فى النهاية يقول سيد محمود: «إذا سألنى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة من الناس قابلته وهيأ قلبك للعبادة، فإنى سأجيب فوراً بأنه «الطاف حسين حالى». ويقول خواجه غلام الثقلين: «إن حالى كان صاحب طبيعة صوفية»(٢).

---

(١) محمد إكرام: موج كوثر ص١٢٤.

(٢) محمد إكرام: موج كوثر ص١٢٧-١٢٨.

ولم تكن فى شخصية حالى الهيبة والمكانة العالية والكفاءة الإدارية مثل السير سيد لكنه كان يتفوق عليه فى إخلاصه ومعاناته القومية فكان حالى خادم القوم الذى يقوم دائمًا بالأعمال الشاقة بنفسه ويبذل قصارى جهده ولكنه كان يهرب من تلقى الجزاء بل وكلمات الشكر، وعلى حد قول خواجه غلام السيدين: «كانت حلقة أصدقاء ورفاق السير سيد تشتمل على كبار المشاهير وعليه القوم لكن كانت سيرة حالى أسمى من الجميع وكانت سيرته سامية نقية وقد انعكست هذه الصفات فى كتاباته النثرية والشعرية». وأعمال حالى وحدة تعادل كلية على گرطه ولكن السذج والبسطاء من الناس لم يقدروه حق قدره أما الذين لا يتأثرون بالأعمال الظاهرية فيعرفون جيداً أهمية حالى والدور الذى قام به فى إيقاظ ونهضة المسلمين يتساوى معه فى ذلك السير سيد ومحسن الملك ويقول إقبال عن حالى والسير سيد:

آن لاله صحرا كه خزان ديد وبيفسرد — سيد دگراورانمى ازاشك سحر داد

حالى زنوا هاى چگرسوزنيا سود — تالاله شبنم زده راداغ چگرداد(١)

وقد ظلت الفكرة الشائعة بالنسبة لشعر حالى وشخصيته أنه كان رفيق السير سيد وأنه صدى لأفكاره وترجمان لعظمة المسلمين الضائعة، ويحاول البعض منهم سيد احتشام حسين التقليل من شأن حالى والقول بأن مؤلفاته كانت بتوجيه من السير سيد مثل «مسدس حالى» و«حيات جاويد» وكان حالى متفق تمامًا فى كل مسألة مع السير سيد ولكن هناك حقيقة لا يجب أن نتغاضى عنها وهى أن حالى الشخص وحالى الشاعر كليهما يحمل خاصية منفردة والتى منبعها الأصلى هو التأثير والتأثر فى أفكاره وتصوراته وليس منبعها الآخرين وإذا قارنا بين أفكار حالى وأفكار السير سيد السياسية نستطيع أن نقول إنه على الرغم من أن حالى تصدى لشرح أفكار السير سيد ولكن لم يكن ينظر إلى هذه الأفكار من وجهة نظر السير سيد بل من وجهة نظره هو فمثلاً هناك اختلاف واضح بينهما فى الأمور الدينية وآراءهما حول التعليم وخاصة تعليم المرأة كما اختلفا فى العمل الاقتصادى والسياسى(٢).

---

(١) أن تلك الشقائق الصحراوية التى أدركها الخريف فذبلت ∴ ها قد أعادها (سيد) للحياة ورواها بادمع السحر ولم يتوقف حالى عن إصدار أناته المتضرعه (المحرقة للكبد) ∴ حتى تنبعث حرارة الأنفاس فى الشقائق التى أصابها البلل.

(٢) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص١٥-١٧.

ولعل فلسفة حالى ونظرته الثاقبة للحياة تتضح جيداً فى هذا المصرع من بيت شعر له «در مع الدهر كيف دار»[1] واتباعه لسياسة الأمر الواقع ومسايرة التيار – إلى حين – وعدم الوقوف فى وجهه حتى لا ينجرف معه.

obeikandl.com

(١) جس رخ زمانه پهرے اسى رخ پهر جاو.
(انظر: غلاف مقدمه شعر وشاعرى).